اقرأ

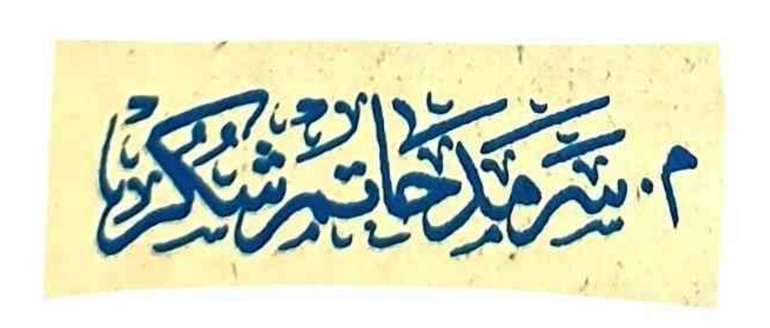
حبيب جاماتى

الجزر الخضراء

« هندونيسيا »

دار المعارف بمصر


الجزر الخضراء
«اندونيسيا»


م. سرمد حاتم شكر

حبيب جاماتى

الجزر الخضراء

« هندونيسيا »

اقرأ ١٧٣

دار المعارف بمصر

اقرأ ۱۷۳ – مايو سنة ١٩٥٧

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر

هذا الكتاب

لها أكثر من اسم واحد ، هذه البلاد الجميلة التى أحدثك عنها فى هذا الكتاب . وأسماؤها العديدة مستمدة من موقعها الجغرافى ، أو مناظرها الطبيعية ، أو كيانها السياسى ، أو المآرب الاستعمارية . . .

سموها جزر الهند الشرقية — وجزر الهند الهولندية — وجزر الهند النيدرلندية — وجزر السوند — وأطلقوا أحياناً اسم جاوى على الجزر كلها — وشملها فى وقت من الأوقات اسم « ملايو » أو « ماليزيا » .

واسمها اليوم « أندونيسيا » أو على الأصح « هندونيسيا » وهذه التسمية تعنى أن البلاد مؤلفة من مجموعة من الجزر وأن الشعب الذى يسكنها يمت بالنسب إلى العنصر الهندى .

وتعدد الأسماء ظاهرة ملتصقة بهولندا نفسها منذ بدء تاريخها كدولة . وقد انتقلت الظاهرة إلى هندونيسيا ، التى احتلها الهولنديون واستعمروها فى القرن السادس عشر .

« هولندا » تعرف أيضاً باسم « نيدرلندا » ومعناها

« الأرض المنخفضة » وأطلق عليها هذا الوصف لأن جزءاً من سواحلها يقع تحت مستوى سطح البحر مما دعا إلى إقامة السدود على طوله لحمايته من طغيان الأمواج .

وعرفت هولندا أيضاً باسم « باتافيا » نسبة إلى شعب يدعى « باتاف » وهو من أصل جرمانى نزل فى ساحل هولندا واستقر فيه . وعرفت أول جمهورية هولندية باسم « الجمهورية الباتافية » .

أما هندونيسيا ، فإنها تستحق أيضاً أن نسميها « الجزر الخضراء » لأنه لا يوجد فى العالم كله جزر يكسو سطحها مثل هذا الثوب الأخضر ، الذى تتسربل به تلك المجموعة العجيبة من الجزر الكبيرة والصغيرة ، الآهلة بالسكان أو الخالية منها ، المنطلقة فى مضمار الرقى أو الباقية فى جمودها إلى حين .

غابات ومروج ورياض وحدائق . بعضها ساهمت يد الإنسان فى تنسيقه واستثماره . وبعضها لا يزال خاضعاً لأهواء الطبيعة ، تعبث به كما تشاء ، ويرتع فيه الطير والحيوان من كل فصيلة ونوع .

وعدد الجزر التى يضمها اسم « هندونيسيا » والتى تمتاز بثوبها الأخضر ، نحو ثلاثة آلاف جزيرة أو أكثر . لا يخرج بعضها عن كونه رزمة كبيرة من الأشجار نافرة من

جوف البحر وطافية على سطحه .

زرت الجزر الخضراء فى سنة ١٩٥٥ ، فى خلال انعقاد المؤتمر التاريخى ، الذى جمع مندوبى الدول الأسيوية والأفريقية فى مدينة « باندونج » والذى كانت قراراته نقطة تحول ، ثم أصبحت نقطة ارتكاز ، فى الاتجاهات السياسية التى تتلاطم تياراتها بين الشرق والغرب .

عدت من تلك الرحلة « الصحافية » وفى جعبتى ما فيها من مواد للكتابة . ولكننى تساءلت ، قبل أن أصمم على استخراج ما يصلح منها للتدوين والتسجيل بين دفتى كتاب : « أما حدث لك أنت ما حدث لكثيرين غيرك من حملة الأقلام الذين يزورون بلداً وكأنهم لم يزوروه ، فيمرون بدون أن ينظروا ، أو ينظرون بدون أن يروا ، أو يرون بدون أن يدركوا . . . وينصتون بدون أن يسمعوا ، أو يسمعون بدون أن يفهموا ! . . . »

غير أنى أجبت نفسى قائلاً : « لا . . . إن ما دونته وسجلته يكفى للتحدث إلى القراء عن هندونيسيا وجزرها الخضراء ، وشعبها الطيب الصبور المضياف ، وجهادها الرائع لخلع نير العبودية ، والمستقبل الزاهر الذى ينتظرها بين أمم الأرض . . . »

بالأمس فقط عرفت هندونيسيا ، ولكننى عرفت الهندونيسيين من زمن بعيد ، فى خلال صراعهم مع الاستعمار الهولندى قبل الحرب العالمية الثانية ، وفى أثناء تلك الحرب ، وبعد أن وضعت أوزارها وخرجت منها هندونيسيا دولة مستقلة . . .

إن تاريخ الشعب الهندونيسى لجدير بأن يكون موضع دراسة مفصلة فى البلدان العربية ، بالنظر إلى ما فيه من روعة وعبر ، وإلى ما يربط العرب بهندونيسيا من روابط وثيقة عريقة .

غير أن الكتاب الذى أضعه الآن بين يدى القارئ ليس تاريخاً ، ولا قصة ، ولا درساً مفصلاً ، ولا سفراً أدعى أنى أفرغت فيه كل ما يجب أن يعرف عن هندونيسيا وشعبها . وإنما هو فقط مجموعة خواطر وسوانح ومشاهدات ، هى ثمرة تلك الرحلة الخاطفة ، وحصاد تلك الإقامة القصيرة ...

مشاهدات ، وسوانح ، وخواطر ، أقدمها لمن عرفتهم من الإخوان الهندونيسيين ، قبل الاستقلال عاملين فى سبيله ، وإبان الثورة مجاهدين من أجله ، وبعد الاستقلال متسابقين متنافسين لصيانته واستكماله !

وفقهم الله فى المستقبل كما يوفقهم فى الحاضر وكما وفقهم فى الماضى !

من الجو

من أروع المناظر التى تقع عليها العين من نافذة الطائرة المحلقة فى الفضاء ، السابحة فى أجوائه ، منظر الغابات الكثيفة التى تغطى بلاد الملايو فى شبه الجزيرة الممتدة من جنوب آسيا نحو جزر الهند الشرقية .

مثل هذا المنظر تراه العين فوق جزء من بلاد الهند نفسها ، حيث الغابات التى تلجأ إليها البقية الباقية من قطعان الأفيال ، وأسراب النمرة وغيرها من سكان الأحراش .

والبرازيل أيضاً يقدم للأنظار مثل هذا الثوب الأخضر ، فى سهول الأمازون وغيرها ، حيث تتشابك الدوحات الهائلة الحجم وتتعاقب الغابات ممتدة إلى مسافات لا حد لها .

ومنظر هذه الغابات البرازيلية ، أو الهندية ، أو الملاوية ، مثل منظر الغابات الهندونيسية المشابهة لها ، يختلف عن منظر الغابات الأوربية التى تكسو جبال سويسرة وسكاندينافيا وبعض أنحاء ألمانيا وروسيا . فالغابات الأوربية قد امتدت إليها يد الإنسان وعبثت بها وهذبتها وشقت فيها المسالك وأعملت فى جذوعها الفؤوس . . .

أما الأخرى ، الغابات الأسيوية والأمريكية ، كالغابات الأفريقية ، فإنها لا تزال جديرة بالتسمية التى تعرف بها فى كتب الجغرافيا ورحلات المغامرين : « الغابات العذراء » .

وفى هندونيسيا مساحات شاسعة من أراضى الجزر الخضراء تكسوها غابات تنطبق على بعضها هذه التسمية .

إذا اجتازت بك الطائرة شبه جزيرة الملايو ، مقتربة من لسان سنغافورة الداخل فى البحر كإسفين موجه إلى جزر هندونيسيا ، ثم انطلقت سابحة فوق الأمواج الزرقاء ، فإن عينك تأخذ ، هنا وهناك ، شيئاً فشيئاً ، بقعاً خضراء وسط ذلك اليم الأزرق ، وحول كل بقعة هالة بيضاء : ذلك هو رشاش الجزر الصغيرة المطوقة بحلقة من زبد البحر . . .

إنك تمر فى محاذاة جزيرة سومطرة ، وتقترب من جزيرة جاوى ، حيث عاصمة الجمهورية الهندونيسية : جاكرتا .

البحر عادة هادئ إلا فى مواسم الرياح العاصفة والتيارات الجارفة . والمطار ،مثل الميناء، فى مأمن من المفاجئات.

ولكن الطيار الذى يقود طائرتك إلى جاوى ، أو منها إلى أية جزيرة أخرى من الجزر الخضراء ، يحرص دائماً على أن يطيل اللف والدوران حول المطار ، أو يبتعد عنه إلى مسافة قد لا تكون قصيرة ، لكى يجعلك تمتع النظر أيضاً برؤية اليابسة بجميع ما

فيها من عظمة وجلال ، كما متعت النظر برؤية البحر بكل ما فيه من روعة وجمال .

تحتك ، على الأرض ، بساط أخضر لا تمزقه غير المدن والقرى والمنازل الريفية المتناثرة بين الأشجار. وحتى المدن والقرى ، تبدو ملتحفة برداء أخضر ، جاثمة فى السهل ، أو معلقة فى السفوح . ويخيل إليك ، وأنت تحدق فى تلك الغابات التى لا ينفذ البصر إلى جوفها ، أنك تسمع من خلال المسافة التى تفصل بينك وبينها ، هزيم الرياح ، أو صياح الحيوانات ، أو أناشيد الطيور .

وفى بعض الأنحاء ، إذا هبطت الطائرة إلى ارتفاع قليل ، فإنك ترى بوضوح بيوتاً رابضة بين الأشجار ، وحولها دائرة مفرغة تحوطها أسوار من الجذوع : تلك هى بيوت الحطابين ، أو الصيادين ، أو المغامرين . إنها قائمة على ركائز ترفعها عن سطح الأرض ، اتقاءً لشر الوحوش التى تحوم حولها فى الليل ، ولا تتردد فى مهاجمة سكانها فى عقر دورهم .

أما النقط الحمراء التى قد تبدو لك هنا وهناك، وسط تلك الخضرة الزاهية ، فهى سطوح المنازل المصنوعة عادة من القرميد ، وهو يحميها من مياه الأمطار وأشعة الشمس فى آن واحد ..

ويحرص الطيار أيضاً ، إذا توفر له الوقت وساعدته حالة

الجو ، على أن يحلق بك فوق رؤوس الجبال ، لكى تشاهد تلك الرواسى الشاهقة التى تنحدر من أجوافها مياه الأنهر ، وتحبس أنفاسك لحظة من الرهبة ، وأنت تمر فوق بركان فاغر الفوهة ، يقذف الحمم من حلقه ، أو يخلد مؤقتاً إلى السكينة فى انتظار الهبة القادمة !

الطبيعة هنا تتجلّى فى أروع حللها ، وأبهى مناظرها ، وأعظم مظاهرها .

ما هى هندونيسيا ؟

لو نقلت جزر هندونيسيا — وعددها ثلاثة آلاف أو أكثر — من المكان الذى تمتد فيه ، إلى المكان الذى تشغله القارة الأوربية ، لغطت هذا المكان ، ولامتدت طولاً من سكانديناڤيا إلى مصر ، أو من إنجلترا إلى إيران .

ومن سخريات القدر أن تكون دولة صغيرة كهولندا قد سيطرت خلال بضعة قرون على مقدرات هذه الجزر واستغلت خيراتها واستعبدت شعوبها . وأن يكون الهندونيسيون قد عاشوا محرومين من تلك الخيرات التى تزخر بها بلادهم بينما كان الأجنبى ينعم بها ويتنكر لأصحابها ويسومهم العذاب والاضطهاد !

بلاد مساحتها ٣٤ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها لا يزيد على عشرة ملايين ، تتحكم فى مصير بلاد تبلغ مساحتها نحو مليون ومئتى ألف كيلو متر مربع ويزيد عدد سكانها على ثمانين مليوناً ! . . .

طول الجزر الهندونيسية من الشرق إلى الغرب نحو خمسة آلاف كيلو متر !

وقد أعاد الهندونيسيون إلى جزرهم أسماءها الأصلية بعد أن ظلت مئات السنين تعرف بالأسماء التى أطلقها عليها الهولنديون :

فجاوى تلفظ الآن « دجاوى »

وسومطرة تلفظ فى الواقع « سوماطيرا »

وبورنيو اسمها اليوم « كاليمانتان »

وسيليب اسمها « سولاويسي »

وغينيا الجديدة اسمها « إيريان »

وأهم الجزر الأخرى : بالى — ملوكو — تيمور — مادورا — لومبوك — سومباوا — فلورس — سيرام — بورو — هلماهيزا — إلخ . . .

إن أكبر الجزر الهندونيسية مساحة جزيرة بورنيو . ولكن فيها إمارة مستقلة هى « ساراواك »، وجزء تملكه إنجلترا يدعى « بورنيو الشمالية » .

وأهم الجزر على الإطلاق « جاوى » وفيها مدينة « جاكرتا » عاصمة الجمهورية الهندونيسية . وجاوى من أجمل الجزر فى العالم ، مكسوه بالخضرة كغيرها . فيها سهول وجبال ووديان خصبة . أنهارها كثيرة تخترقها من جميع الجهات . ولا تزال بعض البراكين فيها تثور من وقت إلى آخر فتحدث أضراراً كبيرة فى العاصمة « جاكرتا » .

ولهندونيسيا مركز ممتاز من الناحية الستراتيجية والجغرافية والاقتصادية ، لوقوعها بين محيطين وبين قارتين : المحيط الهادى من الشمال والشرق ، والمحيط الهندى من الجنوب والغرب ، وقارة آسيا من الشمال ، وقارة أوسترالازيا من الجنوب .

حرص المستعمرون دائماً على إقامة الحواجز بين سكان الجزر الهندونيسية ، ليحولوا دون اختلاطهم ، وتقاربهم وتوحيد صفوفهم . ولكن الذى أراد المستعمرون منعه قد وقع أخيراً وأصبح حقيقة واضحة .

كان الهندونيسيون يدينون بالبوذية قبل أن يصل إليها العرب والأوربيون . أما الآن ، فإن الأكثرية من السكان مسلمون (نحو ٩٠ بالمئة) والباقى مسيحيون. وفى بعض الجزر ، خصوصاً جزيرة « بالى » جماعات من البوذيين .

وسكان هندونيسيا خليط من جنسيات عديدة — للجنس

الهندى فيها النصيب الأوفر . وكثر فى البلاد المولدون بالتزاوج بين تلك الأجناس . والدم العربى يجرى فى عروق السكان فى جاوى وسومطرة وغيرهما من الجزر . وقد ترك الأوربيون أيضاً ، وعلى الخصوص الهولنديون ، أثراً فى البلاد . وفى وقت من الأوقات كان التزاوج بين الغزاة الهولنديين وأهل البلاد قد اتسع اتساعاً كبيراً .

بدء الاستعمار

كانت هندونيسيا قبل القرن السادس عشر للميلاد ، تتألف من دول مستقلة ، كل منها تضم جزيرة أو أكثر ، أو تضم فقط جزءاً من جزيرة . وهذه الدول المستقلة تسيطر على التجارة فى الشرق الأقصى . وأول من جاءها من الناحية الغربية ، العرب . ولكنهم وفدوا كتجار مسالمين ، لا كغزاة فاتحين . وقبض أولئك العرب على ناصية التجارة فى مدة وجيزة ، وأنشأوا علاقات ومواصلات منتظمة بينهم وبين الدول العربية فى الشرق الأدنى وأفريقيا . وحافظوا على أسرارهم فلم يفتحوا أبواب الشرق الأوسط والشرق الأدنى للغربيين الذين كانوا فى ذلك الوقت قد بدأوا يتطلعون إلى ما وراء البحار الأوربية .

فى القرن السادس عشر ، صعد نجم الغرب ، ومال نجم الشرق إلى الغروب . . .

كان كولومبوس قد كشف طريق أمريكا فى القرن الخامس عشر . وفى أواخر ذلك القرن – أى فى سنة ١٤٩٨ – كشف فاسكو دى غاما البرتغالى طريق الهند من رأس الرجاء الصالح أى بالدوران حول القارة الأفريقية من الجنوب .

وما مرت سنوات معدودة على ذلك الحادث حتى كان البرتغاليون قد أنشأوا على سواحل آسيا الجنوبية مراكز تجارية تحولت شيئاً فشيئاً إلى ممتلكات ومستعمرات صغيرة . من بينها سواحل جاوى وسومطرة وبورنيو وملوكو وغيرها من الجزر التى تتألف منها اليوم الجمهورية الهندونيسية .

وكان البرتغاليون قساة فى معاملة سكان البلاد التى نزلوا فيها. ولهذا تعذر عليهم أن يتوغلوا إلى داخل الجزر. فظلوا مقيمين على السواحل، إلى أن حل الأسبانيون محلهم وورثوا عنهم مستعمراتهم ومراكزهم التجارية ، بعد أن اجتاحوا دولة البرتغال نفسها وضموها إلى دولتهم الأسبانية الكبرى .

وفى أواخر القرن السادس عشر ، استقلت بعض الأقاليم التى كانت تابعة للإمبراطورية الأسبانية ، وتألفت منها دولة باسم « الأرض المنخفضة » وهى التى عرفت باسم « هولندا » .

وحدث ما يحدث عادة بين بلد ينتزع استقلاله ، والبلد الذى يأخذ ذلك الاستقلال منه : أى تسابق بين البلدين فى ميدان السيطرة والجاه .

ركب الهولنديون البحار وانطلقوا فى مغامرات بعيدة مثل الأسبانيين أسيادهم بالأمس ، ومثل البرتغاليين من قبل .

فى سنة ١٥٩٤ أقام الهولنديون أول مركز تجارى لهم على ساحل جاوى .

وفى سنة ١٦٠٠ حصلت شركة هولندية على أرض تملكتها فى جزيرة سومطرة بالتفاهم مع الحكام الوطنيين .

وفى سنة ١٦٠٧ استولت الشركة على جزر ملوكو ، وبعد قليل ، فى عام ١٦١٠ ، أخذت على ساحل جاوى بلدة جاكرتا وسمتها « باتافيا » .

وصار الهولنديون يتوسعون فى امتلاك الأرض ، وإنشاء المراكز ، وإقامة الحصون والقلاع ، والسيطرة بالوعد أو الوعيد أو الخداع أو القوة على الإمارات الهندونيسية ، الواحدة بعد الأخرى ، وعلى الجزر المتناثرة فى ذلك الجزء من البحار ، واحدة بعد أخرى ، فلم يمر قرن كامل حتى كانت هولندا تملك الجزر كلها ، ما عدا أجزاء بسيطة منها استولى عليها غيرها من الدول الاستعمارية .

ولما كانت هندونيسيا قد أعلنت استقلالها فى سنة ١٩٤٥ ، واستعمارها على أيدى الهولنديين قد بدأ فى سنة ١٥٩٤ ، فإن عهد الحكم الأجنبي فيها ، أو عهد الاستعمار ، يكون قد دام ثلاثة قرون ونصف تماماً ! . . .

وذلك الاستعمار الهولندى كان يمتاز بالأنانية وحب الاحتكار فى جميع الميادين . فكل شىء فى هندونيسيا كان يحمل الطابع الهولندى . وجميع مرافق الحياة وأبواب الرزق كان يسيطر عليها الهولنديون . ولما كان الهندونسيون يطالبون بحق من حقوقهم ، أو يتململون من جور وظلم ، أو يثورون للإفلات من العبودية — كان الهولنديون يقابلون ذلك بالحديد والنار ، ويشددون فى هضم الحقوق ، ويضاعفون ظلمهم وجورهم ، ويخمدون الثورات بالقوة ويغرقونها فى بحر من الدم .

وفى هندونيسيا اليوم — فى عهد الاستقلال — مؤسسة لإعانة جرحى الثورات ومشوهى الحرب من أبناء البلاد ، ولإعادة بناء القرى والمنازل التى خربها الهولنديون فى أثناء حملاتهم العسكرية لإخماد الحركة الوطنية . . .

أما الذين قتلوا ، وعددهم لا يحصى ، فلا يبقى لمواطنيهم إلا أن يترحموا عليهم ، ويمدوا يد المساعدة لأسرهم . . .

ومما لا بد من ذكره ، فى هذه العجلة ، أن الإنجليز لم

يقفوا مكتوفى الأيدى ، يتفرجون على البرتغاليين والأسبانيين ثم الهولنديين وهم يغزون الجزر الخضراء ويحتلونها واحدة بعد أخرى. فقد حاولوا ، عند ما اشتدت شهوتهم لابتلاع خيرات الشعوب الأخرى ، أن يزحزحوا الهولنديين عن بعض مواقعهم ، ويأخذوا منهم بعض جزرهم ، إما بالمبادلة ، والمقايضة ، وإما بالشراء بالمال ، وإما بالقوة . وكان ذلك فى أوائل القرن التاسع عشر . ولكن الصلح والتفاهم حلا فى النهاية محل الخصام بين الفريقين من أولئك المستعمرين ، وكان الصلح والتفاهم طبعاً على حساب الشرق وبلدانه وشعوبه .

فقد اتسعت ممتلكات الهولنديين ، والإنجليز ، والبرتغاليين ثم الفرنسيين ، فوقع جزء كبير من القارة الأسيوية وجزر المحيطين فى أيديهم ، وما انتهى القرن التاسع عشر ، حتى كانت الدول الأوربية تسيطر على الهند والخليج العربى وجنوب جزيرة العرب والملايو والصين الهندية وجزر الهند الشرقية وأوستراليا ونيوزيلاندة وغيرها .

ذلك هو عصر الاستعمار الذهبى ، بالنسبة إلى الدول المستعمرة المعتدية ، وعصر الظلمات بالنسبة إلى الشعوب المعتدى عليها ، والتى اجتاح المستعمرون بلادها .

الثورات المتواصلة

لا يصح الادعاء بأن الهندونيسيين كانوا خاملين خانعين للحكم الأجنبي ، وأنهم ظلوا على هذه الحالة من الخنوع والخمول ثلاثة قرون ونصف ، إلى أن واتتهم الفرص ، بمناسبة الحرب العالمية الثانية ، فخلعوا النير واستقلوا .

نعم إنهم استقلوا فى عام ١٩٤٥ ، وخلعوا النير الهولندى الثقيل ، وأصبحوا أسياد أنفسهم . ولكن محاولاتهم لبلوغ هذا الهدف كثيرة متوالية ، منذ أن استقر المستعمرون فى بلادهم ، وعلى الخصوص فى خلال القرن التاسع عشر .

فى بادئ الأمر ، لما فوجئوا بنزول الهولنديين على أثر البرتغاليين والأسبانيين ، وكلهم جاؤوا فى سفن مدرعة ، تحمل فى آن واحد التجار والجنود ، والبضائع والأسلحة ، لم يكن فى وسع السكان المسالمين أن يقاوموا ذلك الغزو المتواصل الحلقات ، وأن يقابلوا القوة بمثلها ، ومعدات الهلاك بما يشابهها.

فكان العهد الأسود عهد السكون وإعداد العدة للانتقاض . وهذا ما حدث فيما بعد ، منذ القرن الثامن عشر ، ثم اتسع نطاقه واشتد واستفحل فى القرن التاسع عشر .

فى أوائل هذا القرن ، نشبت ثورات فى جزيرة جاوى ، حيث كان الحكام المحليون يرقبون الفرص للتخلص من النير الأجنبى واسترجاع حريتهم المفقودة .

كان الأمراء والحكام المحليون فى القديم يتنازعون ويتقاتلون فى سبيل السلطة والجاه . ولكن هذا التناحر بدأ يخف بعد مجىء الأجانب المستعمرين ، وبدأ الزعماء الوطنيون يتقاربون لصد الخطر المشترك . وهذا ما خاف منه الهولنديون وبذلوا همهم لمنعه . فطبقوا سياسة التفريق لكى يسودوا عملاً بالقاعدة المتبعة فى كل سياسة استعمارية . وقد نجحت هذه السياسة تارة ، وأخفقت تارة أخرى ، وبدأ الصراع ضعيفاً ، متقطعاً ، ثم اشتد ، وتماسك وتحول مع الوقت إلى جهاد صامت أو صارخ ، سلبى أو إيجابى ، وتكلل فى النهاية بالنجاح .

ديبونيكورو :

من أشهر ثورات الهندونيسيين ، الثورة التى قادها « ديبونيكورو » من أمراء جاوى . ويكتب العرب اسمه أحياناً « ديمانقارا » وهو أمير مسلم رفع لواء العصيان وأهاب ببنى قومه أن يلتفوا حوله لطرد الهولنديين من الجزيرة . وقد نازل هذا الثائر الشجاع الجيوش الهولندية فى الميادين ، وتغلب عليها فى أكثر

من معركة ، من سنة ١٨٢٥ إلى سنة ١٨٣٠ . ولما أدرك الهولنديون أن الحالة تتفاقم ، وأنهم عاجزون عن إخماد الثورة بالقوة ، عمدوا إلى الخداع والكذب والنفاق . . .

أرسلوا يدعون الأمير ديبونيكورو إلى الدخول معهم فى مفاوضة لعقد الصلح ، على أساس الاعتراف له بالاستقلال ، ورفع الحكم الهولندى عن إمارته .

وصدق الأمير الجاوى الثائر وعد المستعمرين ووثق بهم . ولكنهم قابلوا ذلك بالغدر . وبدل أن يفاوضوا ديبونيكورو، قبضوا عليه وأعدموه !

إمام بانجول:

فى الوقت الذى نشبت فيه ثورة « ديبونيكورو » فى جزيرة جاوى ، كانت ثورة أخرى ، مماثلة لها ، مستعرة فى جزيرة سومطرة ، بقيادة عالم من رجال الدين عرف باسم « إمام بونجول » وهو اسم البلدة التى كان العالم إماماً لها ورئيساً على سكانها المسلمين . ولهذا الثائر اسمان آخران : بيتو شريف — ومصطفى سحاب — وقد دعا مواطنيه إلى الثورة منذ عام ١٨٢١ ، وظل يناضل ويحارب ويقاتل ، ينتصر حيناً ويغلب على أمره حيناً آخر ، فدوخ الهولنديين أكثر من ستة عشر عاماً ، وأنزل

بهم خسائر فادحة . ولكنهم فى النهاية أخمدوا ثورته ، بفضل ما استعانوا به من جند وعتاد وأموال • وكان ذلك فى سنة ١٨٣٧ .

واسم إمام بونجول الآن يحتلّ مكانه بين أسماء الأبطال الخالدين فى تاريخ هندونيسيا .

تكو عمر :

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، قاد ثورة وطنية فى هندونيسيا بطل مغامر عاونته زوجته فى جهاده : « تكو عمر » .

هب هذا الزعيم الشاب فى وجه الهولنديين والتف حوله بضعة آلاف من الثائرين ، خاضوا ضد الغزاة المستعمرين معارك طاحنة . قتل القائد الشجاع فى إحداها ، وأقسمت زوجته ـ واسمها « تيدين » ـ أمام جثمانه ، على أن تواصل القتال لكى تثأر له ولوطنه الذى استشهد فى سبيله .

ومن أروع ما حدث فى تلك الثورة الدامية التى قادها تكو عمر ، ثم زوجته ، أن النساء اشتركن فيها اشتراكاً عملياً ، بكثرة هائلة . وأن زوجة الزعيم الشهيد استشهدت مثله ، فقتلت فى سنة ١٩٠٤ ، بعد أن قادت الثورة ثمانية أعوام بمفردها .

هدايت :

ومن الثوار المشهورين فى تاريخ الجهاد الهندونيسى ، الأمير « هدايت » الذى أعلن الثورة فى مسقط رأسه بجزيرة « كاليمانتان » وهى التى كان الهولنديون يسمونها « بورنيو » والتى يملك الإنجليز جزءاً منها .

حمل هدايت السلاح ضد المستعمرين فى الجزيرة الكبيرة فى أواسط القرن التاسع عشر . وأنشأ جيشاً منظماً من المجاهدين ظل نحو أربعين سنة يكافح ويناضل . ينقض يوماً على المراكز الهولندية ويختفى أياماً . يعرف النصر ويعرف الهزيمة . ولكن بدون أن يتشتت شمله . حتى أصيب بالضربة القاضية وهى مصرع القائد والزعيم الأمير هدايت. وكان ذلك فى سنة ١٨٩٩.

محمد صالح :

لم تخمد النار تماماً بعد انتهاء ثورة إمام بونجول بوقوعه فى الأسر . فقد نجا واحد من أقرب أعوانه وأشدهم مراساً ، يدعى « الحاج محمد صالح » فاستأنف هذا البطل الصراع بعد أن أعاد تنظيم الصفوف ، واتخذ منطقة « ثامبوسى » بجزيرة سومطرة

مقرًّا لقيادته ومركزاً لثورته الجديدة . ولهذا أطلق عليه اسم « أثو أنكو ثامبوسى » .

شيد محمد صالح فى ثامبوسى الحصون والقلاع وحفر الخنادق وأعد عدته لمواجهة الهولنديين ، الذين كانوا ، بعد أسر إمام بونجول ، قد سيروا قواتهم إلى داخل الجزيرة لاحتلال أمنع المواقع فيها .

واشتبك الفريقان فى معارك استبسل فيها المجاهدون الهندونيسيون بقيادة الحاج محمد صالح ، الذى كان فى آن واحد يواصل بث تعاليمه الدينية والوطنية ، كما اقتبسها عن أستاذه إمام بونجول . حتى سقط قتيلاً فى إحدى المعارك والسلاح بيده.

التلميذ الصالح :

وكما أن الحاج محمد صالح قد واصل الجهاد بعد موت أستاذه الإمام ، فإن واحداً من تلاميذه هو واصل الجهاد بعد مصرعه. ولم يكن ذلك التلميذ الصالح غير أمير ثامبوسى نفسه . فقد نشأ هذا الأمير وسط الثورات التى شاهدها مستعرة منذ نعومة أظفاره . ولما تسلم مقاليد الحكم ، وقوى ساعده ، جمع فريقاً من المقاتلين وخاض غمار الحرب ضد الهولنديين فى بلاده ثامبوسى ، رافضاً التسليم بالشروط التى أراد الهولنديون أن

يفرضوها عليه . وظل يكافح ويحارب حتى نفدت وسائله كلها . فوقع فى الأسر ، وأرسل إلى « مديون » بجزيرة جاوى سنة ١٩٠١ ومات فيها .

أبطال بالجملة :

وليس بالإمكان سرد تاريخ الثورات العديدة التى تتابعت فى البلاد الهندونيسية ، والجزر الكبيرة والصغيرة على السواء ، بعضها يقوده الأمراء ورؤساء الدين ، وبعضها يقوده رجال من عامة الشعب ، وبعضها أيضاً تقوده نساء ، كثورة « تيدين » زوجة تكو عمر ، وحركة البطلة الخالدة « كارتينى » وهى ثورة فى آن واحد سياسية واجتماعية موفقة .

ومن أبطال الثورات التى يذكرهم الهندونيسيون ويمجدون أسماءهم ، الشيخ « محمد السمان » المشهور باسم « تكو جهيك ديتيرو » والذى قاتل الهولنديين عشرة أعوام ورفض مصالحتهم حتى أوفدوا إليه من قتلة اغتيالاً .

معركة الاستقلال

ظلت الثورات متواصلة متلاحقة فى جزر الهند الشرقية ، كما رأينا ، طوال قرن ونصف قرن . فى بادئ الأمر كانت

الحركة الوطنية تتخذ شكل مقاومة سلبية وأحياناً إيجابية ، لتوسع الهولنديين . ثم اتخذت شكل ثورات مسلحة ولكنها محلية لا تتعدى نطاق جزيرة واحدة ، أو جزء من جزيرة . وأخيراً ، فى الثلث الأول من القرن العشرين ، دخلت الحركة الوطنية الهندونيسية فى طور التنظيم ، وهو الذى أدى إلى تكتل الجهود وعقد الخناصر وتوحيد الكلمة ، فأسفر ذلك كله فى النهاية عن كسب المعركة ، معركة الحرية ، أى عن فوز هندونيسيا باستقلالها ، وضم أقاليمها فى جمهورية واحدة .

ولو لم تحدث من قبل تلك الثورات المحلية ، والوثبات الفردية ، والهبات المتقطعة ، لما صحا الشعب من غفوته ، ولما كتب النجاح للثورة الأخيرة ، التى تكلل بها ذلك الجهاد القومى المرير الطويل .

فى مستهل القرن العشرين — القرن الحالى — وهو الذى امتاز بهبة الشرق كله هبة واحدة نحو النور والحرية — تبلورت آراء المفكرين فى هندونيسيا ، واتجهت ميولهم إلى تنظيم الحركة الوطنية وتوجيهها التوجيه الصحيح الذى يضمن لها الفوز ، ومن حسن حظ هندونيسيا أن فريقاً من أبنائها الأبرار كانوا قداتصلوا بالعالم الخارجى من ناحية ، واتصلوا من ناحية أخرى بعضهم ببعض ، فى أجزاء البلاد المتباعدة ، ومهدوا للعمل الخطير الذى

كانت فكرته تختمر فى رؤوسهم . فلما أرادوا أن يضعوا تلك الفكرة فى موضع التنفيذ، كانت الطريق ممهدة، والتربة صالحة .

وبدأ تأسيس الجمعيات والهيئات : بعضها لعب دوراً شاملاً ، وبعضها لعب دوراً محدوداً .

بودى أوتومو :

عبارة « بودى أوتومو » معناها « الأخلاق الفاضلة » وهذا اسم الجمعية التى تألفت فى باتافيا (جاكرتا) فى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ برياسة الدكتور وحيد الدين ، الذى يعد بحق واضع أسس التنظيم والتكتل للحركة الوطنية الحديثة بهندونيسيا .

وقد أصبح يوم ٢٠ مايو عيداً وطنياً فى عهد الجمهورية الهندونيسية ، تماماً مثل يوم ١٧ أغسطس الذى أعلن فيه الاستقلال . لأن الهندونيسيين أدركوا ، بعد انتصارهم ، أنه لولا اليوم الأول ، لما كان اليوم الثانى ، ولولا إنشاء جمعية « الأخلاق الفاضلة » لما نجحت الحركة القومية ولما ربح الشعب معركة الاستقلال .

كانت الجمعية فى بادئ الأمر « اجتماعية ثقافية » كما يدل على ذلك اسمها . ولكنها تحولت مع الوقت إلى جمعية سياسية وطنية كان لها ذلك الأثر الفعال فى تحرير هندونيسيا .

الأحزاب والدين :

يجىء بعد جمعية « بودى أوتومو » حزب « شركت إسلام » الذى أنشئ فى سنة ١٩١١ وكان هدفه الأساسى محصوراً فى نطاق اقتصادى تجارى. وتولى رياسته « الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو » وأحرز نجاحاً كبيراً ونال حظوة عند الناس فأقبلوا على الاشتراك فيه بكثرة . وكان ممن انضموا إلى هذا الحزب الشاب أحمد سوكارنو ، الذى أصبح فيما بعد زعيم البلاد وأول رئيس لجمهوريتها الحرة .

وهناك حزب آخر له أثره فى النهضة القومية ، وله أيضاً صبغة دينية : « الجمعية المحمدية » التى كان أول رئيس لها الحاج أحمد دجلان .

ولا يزال حزب « ماشومى » عاملاً فى الميدان إلى الآن ، يزداد قوة يوماً بعد يوم .

وهناك أحزاب وهيئات أخرى سيجىء ذكرها ، فى الفصول المقبلة ، بعضها سياسى ، وبعضها دينى ، وبعضها له صبغة مزدوجة : سياسية ودينية . فإن الهندونيسيين — والأغلبية الساحقة منهم مسلمون — يستعينون بالعامل الدينى لتأمين النجاح والفوز لحركتهم الوطنية وقد بلغوا هدفهم فعلاً بهذه الوسيلة .

الحزب الوطنى :

جاهد كل حزب طاقته ، ونشطت كل هيئة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، لبث الروح الوطنية وإزكاء نارها فى النفوس وتوجيهها نحو الهدف الأسمى : الحرية والاستقلال . وأخيراً قام الحزب الذى كتب له أن يبلغ الهندونيسيون هدفهم هذا على يده ، أو فى عهد رئيسه : « الحزب الوطنى » الذى أنشأه « الدكتور أحمد سوكارنو » فى ٤ يوليو سنة ١٩٢٧ .

ما هو المنهاج الذى وضعه الحزب يوم تأسيسه ، والذى أقسم أعضاؤه اليمين على تحقيقه ؟

- توحيد هندونيسيا فى دولة ديموقراطية
- تحريرها واستقلالها استقلالاً تاماً
- نشر التعليم بين جميع طبقات الشعب
- النهوض بالبلاد المستقلة فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع
- ضمان الحريات لجميع المواطنين
- السير فى مضمار الحضارة مع الدول السائرة فيه
- محاربة الاستعمار أينما كان وبأية صورة كان .

وهذا ما حققه فعلاً الحزب الوطنى برياسة الزعيم

أحمد سوكارنو ، الذي أعلن استقلال بلاده فى يوم ١٧ أغسطس ١٩٤٥ بمدينة جاكرتا العاصمة . فانتخب رئيساً للجمورية ، وانتخب صديقه ورفيقه فى الجهاد ، « محمد حتا » نائباً للرئيس .

النصر !

يمكن القول بأن الهندونيسيين ، مثل غيرهم من شعوب العالم التى ضاعت حريتها ، قد رحبوا بنشوب الحرب العالمية فى سنة ١٩٣٩ ، على أمل أن تكون حاملة معها ، فى طيات ثوبها الدامى ، عوامل الحرية والخلاص !

وكان هذا الشعور فى محله : فلولا الحرب العالمية الأخيرة لما استقلت هندونيسيا ، أو على الأقل لما تمّ لها الحصول على الاستقلال بهذه السرعة .

سقطت هولندا وداسها الألمان بالأقدام ، فعرفت مرارة الحكم الأجنبى ، وأدركت معنى الحرية ، وذاقت من ألوان العذاب ما كانت تذيقه للغير . ولكنها لم تعد إلى رشدها ولم تتعلم ولم تعتبر ؛ بل تشبثت بمستعمراتها ورفضت أن تعترف بجزر الهند الشرقية — وكانت تسميها جزر الهند الهولندية — بما تطالب

به من حقوق ، أو ببعض ما تطالب به .

فالحرية ، فى نظر المستعمرين ، بضاعة معدة للاستهلاك المحلى ، لا للتصدير . وهم يقدسونها فى بلادهم بالنسبة إلى أنفسهم ، ويحرمونها على الغير فى مستعمراتهم .

ولهذا ، فإننا نرى المستعمرين لا يعترفون بحق إلا إذا أرغموا على الاعتراف به إرغاماً ، ولا يتخلون عن سلطة إلا إذا أخذت منهم أخذاً ، ولا يعيدون إلى بلد حريته إلا إذا انتزعت منهم انتزاعاً .

ولم تشذ الحالة عن هذا الوضع ، بين هولندا الدولة الاستعمارية ، وهندونيسيا البلاد المغتصبة .

بات الهندونيسيون يرقبون الفرص ، حتى أتيحت لهم فاغتنموها :

فى سنة ١٩٤٢ ، هاجم اليابانيون ، حلفاء الألمان ، الجزر الهندونيسية للاستيلاء عليها وطرد الهولنديين منها . وتم لهم ما أرادوه بسرعة خاطفة . فسيطروا على جزر الهند الشرقية سيطرة تامة فى مدة وجيزة .

وأدرك الغزاة الفاتحون أن أهل البلاد يكرهون الهولنديين ، وأن هؤلاء المستعمرين كانوا يسيئون التصرف فى جميع الميادين ، فحاولوا استغلال ذلك لمصلحتهم ، وتظاهروا بأنهم يغارون على

مصلحة الهندونيسيين أنفسهم ، وأنهم لا يريدون لهم غير كل خير .

ورأوا أن الشعب الهندونيسى يعطف على زعمائه الوطنيين الذين كان الهولنديون قد نفوهم إلى جزر نائية ، أو ألقوا بهم فى السجون والمعتقلات ، فصدرت الأوامر فى الحال بإطلاق سراح المعتقلين والمسجونين ، وإعادة المنفيين إلى ديارهم وذويهم . ولما تم هذا ، تركت الحرية لأولئك الزعماء بأن يغذوا الروح الوطنية فى النفوس ، ويستأنفوا نشاطهم السياسى فى سبيل استقلال بلادهم . بل إن اليابانيين سمحوا لهم باستخدام السلاح والتمرين على الأعمال العسكرية ، وكانوا يشرفون بأنفسهم على ذلك وأملهم طبعاً أن يكتسبوا ود الهندونيسيين وولاءهم لكى يعملوا معهم ، جنباً إلى جنب ، فى تحقيق المشروعات الواسعة التى كانت اليابان تباشر تنفيذها للسيطرة على الشرق كله .

وهكذا خدم الاحتلال اليابانى الحركة الوطنية الهندونيسية من حيث أراد المسؤولون اليابانيون أن يخدموا سياسة بلادهم القائمة على الفتح والغزو والتوسع .

ثلاثة أعوام ونصف قضاها الهندونيسيون تحت الحكم اليابانى ، فاستغلوها أحسن استغلال لمصلحة وطنهم . فقد تسامحوا ،

وتمرنوا على القتال ، وأقبلوا على الدرس والتحصيل ، وابتكروا الوسائل المنوعة لتوفير ما كان ينقصهم من مستلزمات المعيشة وضروزياتها .

واشتد الأمل فى النفوس ، وعادت إليها الثقة ، وتشاور الوطنيون فيما بينهم ، فقرروا الإقدام على عمل مفاجئ يضعون به اليابانيين المحتلين أمام الأمر الواقع .

كان اليابانيون يقولون للهندونيسيين إنهم ماجاؤوا إلى بلادهم ليحتلوها احتلالاً دائماً ، بل ليطردوا منها الهولنديين ويعطوها استقلالها فيما بعد .

فأراد الهندونيسيون أن يكون هذا القول صحيحاً ، سواء أكان اليابانيون جادين فيه أم مازحين مخادعين .

قرر الهندونيسيون أن يعلنوا استقلال بلادهم بأنفسهم ، بدون أن ينتظروا إذناً من اليابانيين بأن يفعلوا ذلك .

وأعلنوا الاستقلال . . .

حاول اليابانيون أن يمنعوهم ، بعد أن أدركوا الحقائق وتبينت لهم الوقائع ، ولكنهم أخفقوا .

كان الهندونيسيون على استعداد لفرض إرادتهم ولمقاومة كل حركة للحيلولة دون تحقيق هدفهم ، وللقتال إذا لزم الأمر فى سبيل الاستقلال !

وشهدت الجزر الهندونيسية ، فى سنة ١٩٤٥ ، حوادث تعد من أعجب الحوادث فى نوعها . . .

اليابانيون يواجهون القتال فى جبهتين : فالهندونيسيون فى الداخل يعلنون استقلالهم ويحمونه بالسلاح ، والإنجليز والهولنديون قادمون من الخارج لاسترجاع هندونيسيا من اليابانيين!

والهندونيسيون ينظرون إلى أولئك الغزاة المتكالبين على بلادهم ، وكل فريق منهم يريدها لنفسه ، كالذئاب تتسابق للفتك بالنعجة الوديعة .

ولكن النعجة الوديعة كانت قد استيقظت !

وكانت الذئاب أمامها يأكل بعضها بعضاً !

وفازت هندونيسيا باستقلالها على حساب الذئاب التى باءت بالخيبة .

فقد انسحب اليابانيون . ولم يطل بقاء الإنجليز . واضطر الهولنديون أيضاً فى النهاية ، إلى التفاوض والاعتراف بالأمر الواقع !

وتم النصر لهندونيسيا المجاهدة .

سوكارنو : الزعيم والرئيس

أحمد سوكارنو من الزعماء المحظوظين ، الذين شاء حسن طالعهم أن يتزعموا حركة وطنية ، ويقودوا ثورة قومية ، وأن يتم تحرير وطنهم على يدهم . فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ — وهو اليوم الذى أعلن فيه استقلال « هندونيسيا » بعد جهاد مرير — بلغ أحمد سوكارنو هدفه الأكبر ، واكتسب حقًّا بأن يختاره الهندونيسيون رئيساً لجمهوريتهم الموحدة المستقلة .

إن الزعيم الرئيس سوكارنو ينتمى إلى أسرتين قديمتين — أسرة والده وأسرة والدته — تمتان بالنسب إلى الأسر المالكة ، أو على الأصح التى كانت مالكة فى جزيرة جاوى .

ولد فى « بلتيار » سنة ١٩٠١ . ونشأ بين أفراد الشعب ، ولمس الشقاء الذى يعانيه بنو قومه ، وشاهد عن كثب الإرهاب والإرهاق على أيدى المستعمرين الهولنديين . فانصرف منذ نعومة أظفاره إلى العمل من أجل الحرية ، حرية الفرد وحرية المجموع .

لم يكن بعد قد جاوز الخامسة عشرة من العمر يوم اشترك فى الجمعيات الوطنية — وبعضها سرية — العاملة ضد الهولنديين . وكانت أول جمعية انضم إليها أحمد سوكارنو

جمعية « جاوى الفتاة » ثم « حزب شركت إسلام » وامتاز منذ ذلك الوقت ببلاغته وفصاحته ، وبسهولة عجيبة فى ارتجال الخطب الحماسية فى مختلف المناسبات .

درس سوكارنو الهندسة . وله آثار رائعة فى فن المعمار والرى وبناء المساجد . ولكن مما يقوله عنه أصدقاؤه والمعجبون به : إن أعظم عمل هندسى قام به هو « هندسة الحركة الوطنية وتشييد بناء الاستقلال فى هندونيسيا ! »

إن سيرة أحمد سوكارنو مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الجهاد الهندونيسى فى مراحله الأخيرة . ففى كل مرحلة منها أثر لسوكارنو . وفى كل وثبة من وثبات الأمة الهندونيسية إلى الأمام فضل لسوكارنو . ولا يختلف اثنان فى هندونيسيا على الاعتراف للرجل بإخلاصه ، ووفائه ، وتفانيه فى خدمة وطنه .

سنحت لى الفرص أكثر من مرة لإلقاء الأسئلة صراحة على الناس فى هندونيسيا ، أو لاستطلاع آرائهم بطريقة غير مباشرة ، فى جميع الأوساط والبيئات ، لمعرفة شعورهم نحو الرجل الذى شاءت له الأقدار أن يكون أول رئيس لجمهوريتهم الحرة .

فكانوا مجمعين على القول بأن سوكارنو خير رجل لخير منصب ، وأنه لم يكن فى هندونيسيا ، بين المجاهدين فى سبيل

الاستقلال ، من هو أجدر منه بمركزه .

رأيته فى قصر الرياسة ، وفى مؤتمر باندونج ، وفى المجلس الهندونيسى ، وفى الشارع ، وفى الحفلات الرسمية ، وكان حب الشعب له ، وتعلق الناس به ، يبدوان بصورة واضحة جلية لا تصنع فيها ولا تحفظ ولا إكراه .

طالب الهولنديين بحقوق وطنه المهضومة فاضطهدوه . وألح فى الطلب فاعتقلوه . وصمد للضغط فحكموا بسجنه ثم نفوه . . .

ولكن ساعة الاستعمار الهولندى الأخيرة كانت قد أزفت . ففى سنة ١٩٣٩ نشبت فى أوربا الحرب العالمية الثانية . وامتدت نيرانها إلى الشرق . وانضم اليابانيون إلى الألمان وهاجموا ممتلكات « الحلفاء » فغزوا جزر الهند الهولندية فى سنة ١٩٤٣ واستولوا عليها .

وخرج أحمد سوكارنو من السجن . . .

ولكنه وجد بلاده قد انتقلت من احتلال إلى احتلال . ولم يكن هذا ما يريده الرجل .

غير أنه عرف كيف يستغل الظروف لمصلحة وطنه . ولما عاد الحلفاء إلى الجزر وطردوا منها اليابانيين ، كان الشعب الهندونيسى يملك من الأسلحة ما يكفى للتخلص

من الجميع والبقاء فى بلاده حراً طليقاً .

وهذا ما حدث . . .

وفى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعلن الهندونيسيون أنهم لا يخضعون لحكم أجنبى ، لا يابانى ، ولا إنجليزى ، ولا هولندى. فإن هندونيسيا للهندونيسيين !

وهذا الشعب الصبور المكافح الفائز الآن باستقلاله ، لجدير بالإعجاب . فقد قاوم أبشع أنواع الاستعمار وأفظع أساليب الحكم الأجنبى بالتتابع ، إذ تعاقب عليه الهولنديون ، ثم اليابانيون ، ثم الإنجليز والهولنديون معاً . وكل فريق من هؤلاء ينافس الفريقين الآخرين فى القسوة والجشع !

العرب فى هندونيسيا

دخل الإسلام هندونيسيا مع التجار العرب الذين وفدوا عليها من الجزيرة العربية . ومعظم أولئك التجار من حضرموت وعدن . والأغلبية من أبناء الجاليات العربية المنتشرة فى جزر الهند الشرقية ، أو من المنحدرين من أصل عربى ، جاؤوا أو جاء آباؤهم من حضرموت .

هاجر العرب من جنوب الجزيرة ، أول ما هاجروا ، إلى

جزيرتى سومطرة وجاوى. وأسسوا فيهما جاليات تكاثرت وازدهرت وسيطرت على التجارة بين جزر الهند الشرقية وسواحل الهند وبلاد العرب وإيران وأفريقيا الشرقية . وامتد نشاطهم وتشعب إلى مختلف الميادين ومرافق الحياة .

وأصاب العرب المهاجرون إلى هندونيسيا نجاحاً كبيراً، وأحرزوا ثروات ضخمة جعلت منهم فى وقت من الأوقات أغنى أغنياء البلاد على الإطلاق . وانتقلوا مع الوقت من سومطرة وجاوى إلى الجزر الأخرى وأنشأوا فيها المتاجر ومراكز المقايضة والمبادلة على منتجات البلاد ، وكانت سفنهم تجوب البحار فى كل الجهات . وبهم اتصل المغامرون الغربيون الذين انطلقوا على أمواج المحيط لكشف الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، منذ القرن السادس عشر .

ولكن هذا الازدهار لم يدم حتى أيامنا هذه . فقد ضعف شأن أبناء الجاليات العربية فى جزر الهند الشرقية ، وتلاشت سيطرتهم على التجارة ، وفقدوا الكثير من تلك الثروات الطائلة . وأسباب ذلك عديدة منوعة .

قال لى كثيرون من الهندونيسيين ومن الصينيين المقيمين فى هندونيسيا إن الاعتقاد السائد فى الأوساط السياسية والتجارية هو أن العنصر العربى لا يزال أغنى العناصر التى يتألف منها

الشعب الهندونيسى اليوم . ولكن هذا ، فى اعتقادى ، لا يطابق الواقع . فقد منى العرب فى خلال الحرب الأخيرة ، وبعدها ، وبسبب توالى الغزوات والثورات ، بخسائر فادحة ، فضاعت ثرواتهم الضخمة ، وباعوا أراضيهم الشاسعة وأملاكهم العقارية الكثيرة ، وباتوا الآن فى حالة استعداد وتأهب وإعداد العدة لاستئناف جهادهم فى سبيل استعادة ذلك الجاه العريض الذى عرفوه من قبل ، وتلك الثروات الزاخرة التى أحرزوها .

وفى وقت من الأوقات ، تولت الحكم والزعامة فى بعض الجزر والممالك والإمارات أسر عربية عريقة ، جاء أفرادها من جزيرة العرب ، أو ولدوا فى جزر الهند الشرقية من أمهات وآباء من العرب . وسلالات تلك الأسر لا تزال إلى الآن تلعب دورها فى تطور الحالة فى هندونيسيا .

ولا يعرف بالتحديد عدد العنصر العربى فى جزر الهند الشرقية ، بسبب اندماج كثيرين من العرب بالأسر الهندونيسية الأصيلة ، ولكن ذلك العدد لا يقل ، فى نظر العارفين ، عن ثلاثمائة ألف ، أو أكثر . فالعرب ، إذا حسبناهم جالية قائمة بذاتها ، يجيئون فى هندونيسيا بعد الجالية الصينية ، وهى أكبر الجاليات الأجنبية ، وعددها ثلاثة ملايين أو أكثر .

ولكن العرب فى هندونيسيا لا يحسبون أنفسهم جالية

مستقلة ، بل جزءاً من الأمة الهندونيسية ، التى تتوحد الآن عناصرها ، فى عهد الاستقلال والسيادة .

وقد حاول الهولنديون أن يفرقوا بين العرب أو المنحدرين من أصل عربى أو المولدين ، من ناحية ، وأبناء البلاد الأصليين من ناحية أخرى ، كما حاولوا أن يفرقوا بين معتنقى المذاهب الدينية المختلفة لخدمة مصالحهم الاستعمارية ، وعملاً بمبدأ « فرق تسد » الذى يطبقه المستعمرون عادة فى كل بلد يحلون فيه.

ونجحوا لسوء الحظ فى سياستهم هذه فيما يتعلق بالعرب ، فى وقت من الأوقات ، ولكن العقلاء من الفريقين ، من العرب أو أحفاد العرب ، ومن الهندونيسيين الأصليين ، تداركوا الأمر وقطعوا على المستعمرين خط الرجعة . والعرب اليوم يعيشون فى هندونيسيا كبقية أبنائها ، يقومون بواجباتهم كاملة ، وينالون حقوقهم كاملة ، ويساهمون مساهمة فعالة ذات أثر بعيد ، فى نهضة هندونيسيا الحديثة ، ودعم استقلالها ، واستكمال سيادتها.

وكثيرون من ذوى المراكز المرموقة ، والمناصب العالية من أصل عربى .

ولكن اللغة العربية اضمحلت فى هندونيسيا أو أوشكت أن تضمحل ، منذ أن ارتفع نجم اللغة الهندونيسية الوطنية ، وأصبحت صالحة للتخاطب والكتابة على السواء .

ويعود الفضل فى بقاء اللغة العربية حية فى بعض الأوساط الهندونيسية ، إلى الأشخاص الذين درسوا فى الخارج ، وعلى الخصوص فى الأزهر وفى الجامعات المصرية ، وعادوا إلى بلادهم يحملون معهم ثمار الدروس التى تلقوها باللغة العربية .

ولا توجد فى هندونيسيا مكتبة يمكن أن نسميها « مكتبة عربية » والكتب التى تصدر فى الشرق العربى لا يصل منها إلى أسواق هندونيسيا غير كميات تافهة ، تعد على أصابع اليد، إذا استثنينا ما يباع فيها من المصاحف وبعض كتب الدين العربية .

وصحف مصر أو البلدان العربية الأخرى لا تصل إلا إلى عدد قليل من المشتركين ، لأن إرسالها بالطائرة يكلف نفقات باهظة ، وإرسالها بالبريد العادى يستغرق بضعة أسابيع .

ولا يوجد فى هندونيسيا غير بضعة أفراد من المصريين والسوريين واللبنانيين . فالعرب كلهم ، كما قلت ، من مهاجرى جنوب الجزيرة .

ولا يسعنى هنا إلا أن ألفت الأنظار إلى تقصير المراجع المختصة فى البلدان العربية ، كالمعاهد العلمية وغيرها ، ودور الكتب وإدارات الصحف ، والأوساط الإسلامية بوجه عام ، فى السهر على صيانة اللغة العربية فى تلك البلاد الجميلة المترامية

الأطراف ، حيث لا يصعب الإبقاء على اللغة العربية ، ونشر الآداب العربية ، وكل ما يتعلق بالثقافة العربية ، إذا عولج هذا الأمر بحكمة ونشاط ، خصوصاً فى هذا الوقت الذى تتوثق فيه العلاقات السياسية والاقتصادية بين جمهورية هندونيسيا الفتية ، والدول العربية الماضية فى سبيل التقدم والرقى .

فالتعاون السياسى يجب أن يدعمه التعاون الثقافى ، بين الهندونيسيين والعرب ، الذين اشتركوا معاً فى مؤتمر باندونج والكتلة الأسيوية الأفريقية .

العاصمة

اسمها اليوم « جاكرتا » وقد استرجعته بعد إعلان الاستقلال وإلغاء الاسم الذى كان يطلقه عليها الهولنديون : « باتافيا »

عدد سكانها يزداد بسرعة ، ويقترب شيئاً فشيئاً من المليون.

كانت عاصمة جزر الهند الشرقية ، المستعمرة الهولندية ، وبقيت عاصمة الجمهورية الهندونيسية المستقلة منذ سنة ١٩٤٥.

قديماً ، عرفت باسم « سوندا كلافا » وكانت تابعة لمملكة « بجاجاران » المسيطرة على جاوى الغربية ، فى عهد الوثنية . لها أميرها الذى يتمتع بقسط وافر من الحكم الذاتى ، ويقيم فى قصر

منيف فى وسط المدينة. ثم أصبحت جزءاً ممن مملكة « بانتن » .

المسلمون العرب هم الذين أطلقوا عليها اسم « جاكرتا » الذى عرفت به مدة طويلة إلى أن جاء الهولنديون فاتحين .

نزلوا على ساحل جاوى فى أواخر القرن السادس عشر ، وأنشأوا مراكز تجارية بالاتفاق مع ملوك بانتن . ولكنهم اختلفوا معهم وتحارب الفريقان وبدأ الهولنديون يفرضون إرادتهم بالقوة . . .

نشبت حروب محلية بين الأمراء الجاويين فتدخل الهولنديون كوسطاء للصلح . ثم استأجروا أرضاً لإقامة حصن بجوار جاكرتا وأنزلوا حامية فى الحصن . وتحول الحصن إلى بلدة منيعة تحيط بها الأسوار . . .

وفى سنة ١٦١٤ فرضوا على أمير جاكرتا معاهدة سياسية وتجارية . وما مرت سنوات حتى كانوا قد وضعوا يدهم على المدينة . . .

سموها « باتافيا » منذ عام ١٦١٧ . والذى أطلق عليها هذا الاسم هو الأميرال « جان كون » قائد الأسطول الهولندى فى ذلك الوقت . واختفى الاسم السابق رويداً رويداً وبقيت المدينة تحمل اسمها الهولندى مدة ثلاثة قرون ونصف . . .

تقع جاكرتا عند مصب نهر « تجى ليونج » الذى يجرى

من الجبال إلى الساحل فى تيار منحدر . ويلتقى بنهر آخر يدعى « تجى دانى » فيؤلف الاثنان نهراً واحداً ، يخترق مدينة جاكرتا قبل أن يصب فى البحر .

ومياه النهر ليست على شىء من النظافة والصفاء . بل هى قذرة قاتمة اللون تجرف معها الفضلات التى تلقى فيها ، وتمر فى بعض الأماكن تحت شوارع جاكرتا وتحت قناطر وجسور عديدة . والسكان يغتسلون فيها ويغسلون ثيابهم . وهذه عادة تحاول الحكومة الوطنية اليوم أن تقضى عليها .

ومدينة جاكرتا العاصمة تؤلف فى الواقع من ثلاثة أجزاء ، أو على الأصح من ثلاث مدن : المدينة التى أنشأها الهولنديون وأطلقوا عليها اسم «حى ورثويدن » أى حى « السلام العالمى » ومدينة جاكرتا الأصلية حيث الأحياء الوطنية القديمة والجاليات الشرقية ، وحى الميناء أو المدينة التجارية والصناعية — حيث كان الصينيون — ولا يزالون — مسيطرين على تجارة البلاد . ويدعى هذا الجزء من العاصمة « ثاندنجونج بريورك » وفيه الأرصفة الواسعة التى ترسو أمامها البواخر وتشحن أو تفرغ عليها الصادرات والواردات .

وحول المدينة ضاحيتان أصبحتا الآن متصلتين بها ، تؤلفان جزءاً منها . واسم الأولى «تانجرانك » والثانية « بيكاسى » . وتمتد

فى السهول المحيطة بالعاصمة الشوارع الجديدة التى شقت هناك فى عهد الحكم الوطنى ، وتشيد على جوانبها الدور الأنيقة على طراز حديث موحد ، بين الأشجار والأزهار .

والجو فى جاكرتا ثقيل لأنه دائماً واحد لا يتغير ، ففى فصل الصيف لا ترتفع الحرارة فوق ٢٦ درجة . وفى فصل الشتاء لا تهبط إلى أكثر من ٢٥ . . . والرطوبة لا تنقطع . والشمس تشرق والمطر ينزل فى فترات متقاربة . بل إنه يحدث أحياناً أن يسقط المطر فى جانب من الشارع ولا يسقط فى الجانب المقابل . وينهمر المطر فى بعض الأوقات بغزارة مدهشة وشدة لا تعرف إلا فى البلدان الباردة . ثم يصحو الجو فجأة وتسطع أشعة الشمس على الشوارع التى تكون قد تحولت إلى ما يشبه الأنهار .

وفى جاكرتا قصر الحاكم الهولندى ، وهو ناصع البياض . وقد تحول الآن إلى قصر جمهورى ، يقيم فيه رئيس الدولة منذ إعلان الاستقلال .

وجميع دور الحكومة توجد فى جاكرتا . ويجرى بناء العمارات الحديثة بسرعة ومهارة ، بعضها للأفراد ، والبعض للحكومة ، والبعض للشركات .

وفى شوارع جاكرتا ، إلى الجانبين ، تكثر الأشجار ،

ومعظمها أشجار مثمرة كالنارجيل – جوز الهند – وثمر الهند – ونوع من البطيخ الأصفر يدعى باباز ، والشاى ، وغير ذلك مما ينبت بكثرة فى تلك البلاد .

وفى عاصمة هندونيسيا خط للترامواى تسير عليه عربات أكل عليها الدهر وشرب ، تنوى الحكومة الوطنية إزالتها . وفى الشوارع يتم الانتقال من مكان إلى مكان ، فى معظم الأحيان ، بواسطة العربات الصغيرة ، أو الدراجات على الأصح ؛ التى تتسع لمكان أو اثنين ، والتى يدفعها رجل من الخلف بقدميه ، وتسمى « بوتشا »

وتصل السكة الحديدية بين جاكرتا والمدن الواقعة فى الداخل.

وفى جاكرتا مطار يزداد أهمية مع الوقت . ويد الإصلاح تتناول المدينة بالمشروعات الجريئة ، كأن الهندونيسيين المسؤولين يريدون أن يعوضوا أنفسهم عما فاتهم من أعمال الإنشاء ، فى العهد الذى كانوا فيه محكومين مقيدين . فالمنشئات الحديثة المتعددة تتتابع بسرعة ، بالرغم مما تشكو منه هندونيسيا من عدم الاستقرار ، والافتقار إلى المال ، فى هذه المرحلة الانتقالية من تاريخها المضطرب .

وفى جاكرتا فنادق تتوفر فيها جميع أسباب الراحة والخدمة الطيبة ، أذكر منها « أوتيل دى زندس » أى « فندق الهند »

وفندق « نيدرلاند » الذى غير أصحابه اسمه بعد رحيل الهولنديين – أو النيدرلنديين– فأصبح يدعى « دارما نيرمالا » .

وفى العاصمة الهندونيسية طبعاً دور التمثيل السياسى الأجنبى . فضلاً عن المصالح الحكومية ، وفيها متحف أنشىء فى عهد الحكم الهولندى ويضم بين جوانبه آثاراً يرجع بعضها إلى آلاف السنين .

وفيها مساجد يحمل بعضها كتابات باللغة العربية على لوحات مثبتة إلى الجدران أو فوق الأبواب .

ومن أغرب أحياء جاكرتا ، السوق أو البازار . ومعظم البائعين فيه من الصينيين . وتوجد فى حوانيته المتفاوتة الأحجام جميع أنواع البضائع والسلع والمواد الغذائية .

ومعظم المكتبات هولندية ، تباع فيها الكتب المطبوعة بلغات ثلاث ، هى الشائعة فى هندونيسيا : الهندونيسية ، والهولندية ، والإنجليزية .

وتتسع مدينة جاكرتا اتساعاً هائلا سريعاً ، فتمتد شوارعها الجديدة فى السهول التى تحوطها ، وتقوم على جوانب هذه الشوارع عمارات ضخمة ، ومنازل للسكن على أحدث طراز .

باندونج

يقول الهندونيسيون — وعلى الخصوص سكان جاكرتا وباندونج — إن مدينة باندونج « باريس الشرق » ويسميها الناس بلغتهم الشعرية « زهرة العسل » وهى جديرة حقا بكل اسم ينطوى على معنى الجمال ، والذوق ، والروعة .

باندونج اسم لمدينة ولإقليم . والمدينة عاصمة الإقليم . بل هى عاصمة جاوى الغربية باعتبار أن جاكرتا نفسها عاصمة الجمهورية كلها لا عاصمة إقليم معين أو جهة محدودة .

مساحة إقليم باندونج ١١٧٥ ميلاً مربعاً . وسكانه نحو مليون ونصف . وعاصمته تقع فوق هضبة على ارتفاع نحو ألفى قدم . أعدها الهولنديون فى أثناء استعمارهم لهندونيسيا لتكون مصيفاً ومكان راحة واستجمام لهم ولعائلاتهم . فشوارعها واسعة نظيفة ، وبيوتها مشيدة على طراز هندسى هولندى ، والغابات تكتنفها والحدائق تتخللها والمياه تجرى فيها بغزارة .

بينها وبين جاكرتا العاصمة خط حديدى وطريق للسيارات . وفيها مطار تشتد فيه الحركة حسب مواسم السنة .

فى هذه المدينة عقد المؤتمر الأسيوى الأفريقى سنة ١٩٥٥ .



نساء باندونج يمتزن بأناقتهن ورشاقتهن . . .

وفى تلك المناسبة عرضت هندونيسيا على أنظار ضيوفها أروع ما عند شعبها من نشاط ولطف وفن وأناقة وظرف .

نساء هندونيسيا ناعمات لطيفات . لكن نساء باندونج على الخصوص يمتزن بأناقتهن ورشاقتهن الفائقتين . والحياة الاجتماعية فى باندونج لا مثيل لها فى أية مدينة هندونيسية أخرى ، تزينها نساء المدينة الفاتنات ، بأزيائهن الزاهية ، وابتساماتهن الحلوة ، وعيونهن الساحرة ، وذلك الحديث الذى برعت المرأة فى باندونج على الخصوص فى إثارته وتوجيهه ، كلما وجدت فى حلقة تضم نساء أخريات ، أو تجمع بين الجنسين معاً .

والمرأة فى باندونج تتحكم فى الأزياء — أو الموضة — فى هندونيسيا كلها . ومن مدينتها تخرج الابتكارات الجديدة ، وتشع الآراء والأفكار الحديثة ، لا فى الشؤون المتعلقة بالمرأة فقط ، بل فى كل شأن يهم البلاد ويمس نهضتها .

وأهل باندونج ، رجالاً ونساءً ، يباهون بمدينتهم ولا يملون من التحدث عنها . وقد روت لنا النشرات التى وزعت على المؤتمرين فى باندونج أشياء كثيرة عن المدينة الجميلة وإقليمها ، منها أسطورتين يرويها الناس ويرددونها فى أغانيهم :

الأولى — أن أماً رزقت مرة ابناً لم يكن باراً ، فدعت عليه ، وسمعت دعاءها جنية من جنيات الغاب ، فأرادت أن تلقى على

الأبناء الضالين درساً ، وتنتقم للأم من ابنها العاق ، فداهمته مرة وهو يتنزه فى قارب بالبحر ، وقلبت القارب وأغرقته بمن فيه . وانفجر فى ذلك المكان بركان اتخذ شكل قارب مقلوب ، ويدعى البركان إلى اليوم بهذا الاسم : « تنجكو نبراهو » ولا يزال يثور من وقت إلى آخر ، كلما اقترف أحد الأبناء خطأ جسيما نحو أمه . والسائحون يزورون بركان « القارب المقلوب » فى الشمال من باندونج ، وتصل بهم السيارات إلى مقربة من الفوهة الهادرة.

والأسطورة الثانية ، يدور موضوعها أيضاً حول بركان قريب من المدينة ، يدعى « كواهو راتو » ومعنى هذا الاسم « فوهة الملكة » أو « بركان الملكة » وملخص الأسطورة ، وهى طويلة ، أن ملكة بارعة الجمال ضربت ابنها مرة فجرحته ثم افتقدته فلم تجده . وقضت الأعوام تبحث عنه ، إلى أن التقت مرة بشاب أحبته وأحبها من النظرة الأولى ، ولكنها أدركت من رؤية الجرح فى جبينه ، أنه ابنها ! . . . وأرادت أن تتخلص من ذلك الحب فحاولت أن تبتعد عن ابنها ولكن قلبها لم يطاوعها فاستعانت بالآلهة والسحرة لتبعد عن نفسها خطر الزواج من ابنها . وفى المكان الذى التقى فيه الاثنان ، الأم والابن ، انفجر بركان تشبه فوهته فم امرأة : هذا هو « بركان الملكة » بالقرب من باندونج .

والمدينة نفسها ، باندونج ، يصفها الهندونيسيون بأنها مدينة الذكريات . ويروون بهذا الصدد أسطورة تقول إن أميراً أحب أميرة فى تلك البقاع وأراد أن يفوز بها فى حرب لكى تكون مكافأة له على انتصاره . فأغار بجيشه على إمارتها . وقاومت الحسناء بشجاعة وسقطت فى الميدان صريعة وانتصر الشاب ... ولكن انتصاره على جيش الإمارة أفقده الأميرة التى من أجلها سار إلى الحرب ! وبعد تلك المأساة التى نغصت عليه حياته ، استسلم الأمير إلى الأحزان وقضى عمره وسط الذكريات . . . الذكريات التى من أجلها سمى ذلك المكان ، أو البلدة التى قامت فيه : « مدينة الذكريات » .

ولو واصلنا سرد الأساطير لما انتهينا . فإن هندونيسيا من أغنى بلدان العالم بأساطيرها القديمة والحديثة ، المستمدة من معتقدات سكانها الأولين أو من مناظر الطبيعة ومظاهر القوى الكامنة فيها . وإقليم باندونج على الخصوص يشغل بقعة من الجبال تغطيها الغابات وتنتشر فيها البساتين وتكثر فيها البراكين والأنهر والبحيرات . ولكل بركان ، ولكل نهر ، ولكل بحيرة ، بل لكل غابة ولكل منحنى فى الجبال الخضراء أسطورة ، أو قصة ، يرجع عهدها إما للعصور التى كانت فيها الوثنية تعم البلاد ، وإما إلى القرون الأخيرة فى خلال الحكم الاستعمارى ..

وبعضها من نسج الخيال ، فى عصرنا الحاضر !

وخيال الهندونيسى ، إذا ما أطلق من عقاله ، لا يعرف صعوبة ولا يقف عند حد فى انطلاقه !

وعلى مقربة من باندونج ، مرصد « بوشا » الذى يعد من أشهر وأحسن المراصد الجوية فى العالم .

والطرقات بين باندونج والجهات الأخرى تخترق غابات من أجمل غابات الدنيا ، تتزاحم فيها أشجار المطاط ، والنارجيل ، والشاى ، والسنديان ، ونبات الغاب أو الخيزران ، وأنواع لا عداد لها من الأزهار والرياحين ، ترتع بينها الحيوانات البرية ، وتموج أغصانها بأسراب من الطيور المختلفة الأشكال والألوان . وتمتد هذه الطرقات عادة ، فى جزء من مسافتها ، بجوار الأنهار المنحدرة من الجبال فى الوديان السحيقة ، نحو شاطىء البحر .

وفى باندونج كلية للهندسة تابعة لجامعة هندونيسيا . ومن هذه الكلية تخرج الدكتور أحمد سوكارنو المهندس ، رئيس الجمهورية الهندونيسية . ومن معاهدها معهد «باستور» الذى يمد هندونيسيا كلها بما تحتاج إليه من مصل ولقاح .

ومدارس باندونج من أرقى مدارس الجمهورية . وتلميذات هذه المدارس على جانب وافر من الرشاقة والأناقة . فإن المرأة

فى باندونج تحافظ على سمعتها من هذه الناحية ، وهى بعد على مقاعد الدرس .

ومما يلفت النظر فى شوارع باندونج سير الفتيات والسيدات جماعات جماعات ، بأزيائهن الزاهية الجميلة ، المصنوعة من الباتيك أو من غيره من الأقمشة الوطنية أو الأجنبية ، وقد ألقت كل منهن على كتفها أو لفت حول عنقها شالاً أو طرحة تتفنن النساء فى وضعها .

وتشبه مدينة باندونج من وجوه عديدة ، مثل بعض أحياء جاكرتا ، المدن الهولندية العادية ، فالهولنديون قد طبعوا بطابعهم أكثر من ناحية واحدة من نواحى الحياة والعمران فى هندونيسيا . وأهمها فن المعمار وهندسة المساكن وبناء البيوت الريفية بوجه خاص .

ويخترق باندونج نهر صغير تندفع مياهه من الجبال المحيطة بها ، وترتفع أو تنخفض وفقاً لسقوط الأمطار أو انحباسها .

وقد يكون سكان باندونج أكثر سكان هندونيسيا ميلاً إلى المزح وأبعدهم عن الكآبة والبحث عن المتاعب ! ففى باندونج الضاحكة ، نساء ضاحكات ، والشوارع والمقاهى ، والملاهى ، والحدائق ، والأماكن العامة على مختلف أشكالها ، كلها غاصة دائماً بأفواج من النساء الجميلات اللواتى يأخذن من الحياة أجمل

ما يمكن أن يأخذ الإنسان منها ، ويقابلن ما يجرى حولهن ، وما يقع عليه نظرهن ، بابتسامة حلوة ، تزداد حلاوتها بارتسامها على تلك الوجوه التى أغدقت عليها الطبيعة مسحة وافرة من الحسن الممزوج باللطف وخفة الروح .

باندونج ، المدينة المرحة ، ركن من الجنة ، فى بقعة تعد من أجمل بقاع الجزر الخضراء !

مؤتمر باندونج التاريخى

سجلت هندونيسيا لنفسها فخراً خالداً فى تاريخ الشرق ، بل فى تاريخ العالم بأسره ، عند ما دعت الدول الأسيوية والأفريقية إلى عقد مؤتمر عام للتشاور والتفاهم ، ووضعت مدينة « باندونج » الجميلة تحت تصرف المؤتمرين ليجتمعوا فيها .

لم يحدث ، منذ قيام هيئة الأمم المتحدة بعد اجتماعات ليك ساكس ، أن التقى ، فى مكان واحد ، مندوبون يمثلون نصف سكان العالم أو أكثر ، كما حدث فى مدينة باندونج ، فى أواخر شهر إبريل سنة ١٩٥٥ .

والدول التى دعت إلى عقد هذا المؤتمر هى الدول الخمس المعروفة بدول « كولومبو » أى التى اشتركت من قبل فى المؤتمر الذى عقد فى هذه المدينة . وهى : هندونيسيا وباكستان

والهند وبورما وسيلان . ونابت عنها حكومة هندونيسيا فى توجيه الدعوة إلى الدول التى يهمها الأمر .

ولا يمكن أن نتحدث عن هندونيسيا ، وعن أثرها ونصيبها فى نهضة الشرق عامة، بدون أن نخص بالذكر والوصف هذا المؤتمر التاريخى العظيم .

الدول المشتركة :

اشتركت فى هذا المؤتمر الدول الآتية ، فأرسلت إلى باندونج وفوداً برياسة رئيس الوزراء أو وزير الخارجية : هندونيسيا — الهند — الصين الشعبية — مصر — سوريا — اليمن — لبنان — العراق — المملكة الأردنية الهاشمية — المملكة العربية السعودية — ليبيا — السودان — أفغانستان — بورما — كامبوديا — سيلان — ساحل الذهب — إيران — اليابان — لاوس — ليبيريا — نيبال — باكستان — فيليبين — تايلاند — تركيا — فيتنام الجنوبية — فيتنام الديموقراطية — أثيوبيا .

أى ٢٩ دولة ، منها ست دول أفريقية ، و ٢٣ دولة أسيوية

ويلاحظ أن الصين الشعبية (الشيوعية) دعيت ولم توجه الدعوة إلى حكومة فورموزا المعروفة بالصين الوطنية .

ودعيت دولة ساحل الذهب بوصفها دولة مستقلة وذلك قبل

أن يعلن استقلالها رسميا فى شهر مارس ١٩٥٧ ويطلق عليها اسم « غانا » .

ومثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام .

ودعيت تونس والجزائر والمغرب لإرسال وفود تشاهد المؤتمر بوصف أعضائها كمستمعين ، وذلك لأن تونس والمغرب لم يكونا بعد قد أعلنا الاستقلال وانتهاء الحماية .

وحضر المؤتمر وفد من جزيرة قبرص الثائرة برياسة المطران مكاريوس فكان الوحيد من رجال الدين المسيحيين فى باندونج .

وانعقد المؤتمر من يوم ١٨ إلى يوم ٢٥ إبريل ١٩٥٥ .

أقوى من هيئة الأمم :

وكان ينبغى أن ينجح هذا المؤتمر . وكان الفضل الأكبر فى ذلك عائداً إلى رجال ثلاثة : شوين لاى الصينى ، وشرى نهرو الهندى ، وجمال عبد الناصر المصرى . وهذا هو رأى جميع الذين اشتركوا فى المؤتمر أو شاهدوا جلساته وما يجرى فى أروقته .

فى باندونج ربح الحق المعركة ، وخسرها الباطل . وبعد باندونج لم تعد قرارات هيئة الأمم وحدها هى القابلة للتنفيذ فى

ميدان السياسة الدولية ، بل أصبحت هناك قرارات جديدة ، اتخذتها ٢٩ دولة من دول آسيا وأفريقيا ، وارتبطت بها ، وتعهدت بالعمل لتنفيذها .

وقرارات باندونج تختلف عن قرارات هيئة الأمم : فهى أفضل وأشرف وأقوى منها !

قرارات هيئة الأمم تتخذ بالأغلبية . أما قرارات باندونج فقد كانت كلها بالإجماع .

وقرارات باندونج ترمى إلى إعادة الحقوق إلى أصحابها ، والأمور إلى نصابها ، بإقرار العدل والسلم . أما قرارات هيئة الأمم فبعضها ينطوى على العدوان ويقره ، أو يحمل معه جرثومة الحروب القادمة .

فى باندونج ألقى الشرق المسالم درساً على الغرب المشاغب ، وبقى على الشرق أن يعمل لتنفيذ قراراته ، ففيها القدرة على تحويل مجرى السياسة العالمية بجملتها وتفصيلها .

فوز للعرب :

فاز العرب بحصة الأسد فى مؤتمر باندونج ، هذا ما لا شك فيه . وروى عن لسان نهرو أنه قال فى جلسة خاصة ، مازحاً : « يوشك المؤتمر أن يتحول إلى ندوة عربية ! »

عرض العرب ثلاثاً من قضاياهم فازت كلها بتأييد المؤتمر العام : قضية فلسطين ، وقضية أفريقيا الشمالية ، وقضية جنوب الجزيرة العربية . فقد تبنت الدول الأسيوية الأفريقية هذه القضايا الثلاث ، وأصبحت مرتبطة بوجوب الدفاع عن وجهات النظر العربية ، كلما أثيرت إحدى هذه القضايا فى هيئة الأمم أو خارجها .

هؤلاء قالوا :

هذه أقوال بعض المندوبين ، أنقلها هنا إتماماً للفائدة من تسجيل أعمال هذا المؤتمر ، لأنها تعبر عن وجهة نظر أو عن رأى :

سألت سينوهاك ، ملك كامبوديا السابق ، الذى تنازل عن العرش لأبيه ، ونزل إلى ميدان العمل الشعبى ، وذهب إلى باندونج على رأس وفد بلاده :

— هل كنت تعرف شيئاً عن القضايا العربية التى عرضت على المؤتمر ؟

— فأجاب قائلاً :

— كنت أعرفت نزراً يسيراً لا يذكر . أما الآن ، فقد عرفت كل شىء . ولهذا فإننى أيدت هذه القضايا . وأنا دائماً مع الحق والعدل !

وكان وفد بورما مهتماً بدعوة العرب إلى المفاوضة مع دولة اليهود بفلسطين لعقد الصلح بين الطرفين . فقلت لرئيس هذا الوفد :

— عجيب أن تسخروا أنفسكم لخدمة الصهيونية وإنقاذ الدولة الدخيلة من الهلاك العاجل أو الآجل . فمن أى مصدر اطلعتم على ما حدث فى فلسطين ؟

فأجاب الرجل قائلاً :

— فى بلادى كثيرون ممن تهمهم هذه القضية ، ومنهم فهمت ما حدث . ثم إن هيئة الأمم بحثت فى قضية فلسطين . ومنها فهمت أيضاً الشىء الكثير !

وعلمت من حديث صاحبنا أن للصهيونيين فى بلاده بورما نفوذاً كبيراً ، وأن أمريكا هى التى أوصت وفد بورما بأن يحول البحث فى قضية فلسطين إلى هذا الاتجاه : المفاوضة بين العرب واليهود بغية الصلح بين الطرفين . وقد فشلت المحاولة الأمريكية ووافق وفد بورما على قرار المؤتمر بتأييد وجهة نظر العرب .

وقال لى الجنرال رومولو رئيس وفد فيليبين : « نحن مع الغرب إذا قامت حرب عالمية . ولكننا شرقيون نعطف على كل قضية شرقية ، خصوصاً إذا كانت قائمة على الحق ! »

وقال رئيس وفد ليبيريا — جمهورية الزنوج فى أفريقيا

الغربية : « عندنا فى بلادنا جالية عربية من المهاجرين السوريين واللبنانيين . وهم على أحسن ما يكون من الوفاق معنا . ولهذا فإننا نعطف على القضايا القومية العربية ، ونؤيدها دائماً فى المحافل الدولية . »

وقال محمد على رئيس وفد باكستان : « ما خذلنا أصدقاءنا العرب فى الماضى ، ولن نخذلهم فى المستقبل ، كلما دار البحث فى إحدى قضاياهم الوطنية . »

حول المؤتمر :

أجمع مندوبو الصحف الأمريكية الذين حضروا مؤتمر باندونج لموافاة صحفهم بأخباره ، على القول بأنه لم يحدث أن أقبل الصحافيون على مؤتمر مثل إقبالهم على هذا المؤتمر ، إذا استثنينا اجتماع لياك ساكس فقط ، يوم أنشئت هيئة الأمم المتحدة .

ـ كانت اللغة الإنجليزية هى السائدة فى المؤتمر . فقد خطب بها معظم المندوبين . كما دارت بها المناقشات . ومنها كانت تترجم إلى لغات المندوبين الذين لا يفهمونها . ولم يتكلم بالفرنسية غير سامى الصلح رئيس وفد لبنان ، ورئيس وفد لاوس وحتى رؤساء الوفود التى كانت بلادهم خاضعة للحكم الفرنسى ،

مثل فتنام وغيرها ، تكلموا بالإنجليزية لا بالفرنسية . أما شوين لاى فقد خطب بالصينية لغة بلاده. وترجم أقواله سكرتيره الخاص بالإنجليزية . ولاحظ السامعون أن شوين لاى كان يقول جملة واحدة فى دقيقة ، فيترجمها السكرتير فى عشر جمل تستغرق خمس دقائق أو أكثر .

– كان بعض المندوبين فى المؤتمر يصحبون زوجاتهم . ولكن اثنين منهم فقط دخلت زوجتاهما إلى جلسات المؤتمر وجلستا بالقرب منهما : زوجة محمد على رئيس وزارة باكستان ، وهى لبنانية ، وزوجة خالد العظم رئيس وفد سوريا . وحضرت الجلسات أيضاً ابنة نهرو وهى سكرتيرته . وكانت زوجة محمد على ، وهى من هواة التصوير بالكاميرا ، تأخذ جميع المناظر التى يظهر فيها زوجها ، خصوصاً مواقفه الخطابية .

– كان هواة جمع التوقيعات يحاصرون المندوبين فى كل مكان . وضيقوا الحصار خصوصاً على ثلاثة منهم : شوين لاى ونهرو وعبد الناصر .

– كان بعض المندوبين يرتدون أزياء بلادهم الوطنية ، ومنهم السعوديون واليمانيون ووفد بورما ووفد ساحل الذهب ووفد الهند ووفد تايلاند ووفد نيبال .

– دعا الأمير فيصل آل السعود أعضاء الوفود إلى مأدبة

فى فندق « هومان » حيث كان ينزل . وبعد العشاء عزفت الموسيقى ، وتقدم أعضاء وفد ساحل الذهب بثيابهم المزركشة وجعلوا يرقصون رقصة بلادهم القومية . وأقيمت حفلة غناء عربى بعد ذلك .

— غير الهندونيسيون أسماء الفنادق الكبيرة فى بلادهم . ففندق « سافواى » أصبح أسمه « هومان » وفندق « نيدرلاند » أصبح اسمه «دارما نيرمالا » ومعناها الجهاد المقدس. ومعظم أسماء الفنادق كانت هولندية أو أوروبية فأصبحت الآن شرقية وهندونيسية . وفنادق هندونيسيا الصغيرة وبيوتها « وفيلاتها » مبنية كلها على الطراز الهولندى .

— قال لى مسؤول هندونيسى ، بعد انتهاء المؤتمر : « من فوائد هذا الاجتماع العظيم ، بالنسبة إلينا نحن الهندونيسيين أننا زدنا معرفة بإخواننا العرب ، بفضل وفودهم التى جاءت إلينا من مصر وسوريا ولبنان والسودان والجزيرة العربية وأفريقيا الشمالية وغيرها . فقد كنا ، حتى الآن ، لا نعرف العرب إلا من خلال مواطنينا الحضارمة . وليس معنى هذا أن هؤلاء الإخوان قصروا فى تعريفنا ببنى قومهم . كلا . فللحضارمة الفضل الأول فى هذا التقارب بيننا وبين العرب ، وبين التصاهر الذى تبعه . ولكن اتصالنا المباشر بالوافدين علينا بمناسبة المؤتمر ، وسع أفق معرفتنا

وفتح أمامنا أبواباً على دنيا العرب ، سوف نلجها ، على أمل أن يواصل العرب زياراتهم لنا فى المستقبل . »

الأحزاب : سياسية ودينية

الأحزاب فى هندونيسيا كثيرة ، متعددة ، متباينة : يزداد بعضها قوة ونفوذاً يوماً بعد يوم ، ويظهر بعضها لظروف طارئة ثم يتلاشى ويختفى غير تارك أثراً ، ويواصل بعضها نشاطه فى نطاق يتسع أو يضيق حسب التطورات السياسية ، فى الداخل أو فى الخارج وبلغ عدد هذه الأحزاب ٢٥ حزباً فى سنة ١٩٥٥ .

وكل من يريد فى هندونيسيا أن ينشىء حزباً ، يفعل ذلك متى أراد وكيف أراد . فهل نسمى هذا « حرية الأحزاب » أم نسميه « فوضى الأحزاب ؟ »

التسميتان صالحتان . والاسمان فى محلهما ! . . .

ولكن سواء أكان هذا مظهر ضعف أو مظهر قوة ، وسواء أكانت هذه الحالة محمودة أو مذمومة ، فإن قيام هذه الأحزاب فى هندونيسيا ، وتعاون بعضها ، وتطاحن البعض الآخر كل ذلك يعطى فكرة صادقة كاملة للحالة النفسية التى يعيش فيها الهندونيسيون ، وللتيارات المتقاربة أو المتباعدة ، التى تتلاطم

بينها ميولهم وآراؤهم ومشاعرهم ، فى هذه الفترة التى يجتازونها ، فترة الانتقال العصيبة ، من حال إلى حال ، ومن عهد إلى عهد ومن عبودية إلى حرية ، ومن تابعية بغيضة إلى سيادة مطلقة . . .

لا يتسع المجال هنا لوصف منشأ الأحزاب فى هندونيسيا ، وما مرت به من تقلبات ، وما أدخل عليها من تعديلات متوالية متواصلة ، وأسباب الخلافات القائمة بينها ، وأنواع تلك الخلافات . فإن هذا كله يتجاوز حدود هذه الخواطر والمشاهدات . ويكفى بنا أن نلقى نظرة عابرة ، ولمحة خاطفة ، على أهم الأحزاب الهندونيسية وأوسعها نفوذاً فى البلاد .

ولا بد من الإشارة قبل كل شىء إلى أن الأحزاب فى هندونيسيا تتأثر بعاملين أساسيين قويين : العامل السياسى والعامل الدينى .

وهذه الأحزاب تعمل أحياناً متفرقة ، وأحياناً متعاونة متكتلة ، حسب الظروف والأحوال .

هندونيسيا بلد إسلامى . فلا غرابة فى أن تتألف فيها أحزاب قوامها وعمادها ورائدها الدين الإسلامى .

تجىء فى مقدمة الأحزاب هيئتان تزدادان قوة ونفوذاً مع الأيام : حزب ماشومى الإسلامى ، والحزب الوطنى . وهذا الأخير كان يرأسه سابقاً الدكتور أحمد سوكارنو رئيس الجمهورية

الهندونيسية . وهو قائم على أساس سياسى قومى ، كان هدفه فى عهد الاحتلال استقلال هندونيسيا وطرد الهولنديين من البلاد ، وبعد أن تم له هذا ، أصبح الهدف استكمال السيادة ودعم الاستقلال والسير بهندونيسيا فى ركب الحضارة جنباً إلى جنب مع الدول الكبرى .

وحزب ماشومى الإسلامى يضع تعاليم الإسلام فى صلب مبادئه وهو تقدمى ولكنه يقاوم الشيوعية ويعدّها ضارة بالبلاد . والصراع شديد بينه وبين الحزب الشيوعى ، الذى أنشىء فى هندونيسيا على أثر إعلان الاستقلال ، ووجد تربة صالحة خصبة بين طبقات العمال والفلاحين والكادحين . واسمه مكون من الحروف الأولى لكلمات « حزب الشورى الإسلامى الهندونيسى » بلغة البلاد .

وللعلماء فى هندونيسيا حزب يحمل اسمهم ، يدعى « نهداتول أولاما » أى « نهضة العلماء » ويلاقى هذا الحزب تأييداً كبيراً من رجال الدين الإسلامى عامة ، خصوصاً فى جزيرة جاوى ، ومن الفلاحين المتدينين ، وطلبة المدارس الدينية. وهو أشد صلابة فى التمسك بالمبادئ الدينية من حزب ماشومى التقدمى .

وبعض الأحزاب الهندونيسية لا يخرج عن كونه هيئة أو

جمعية دينية، كجمعية المسلمين الهندونيسية مثلاً ، وحزب الله الإسلامى وهو من أوفر الهيئات الإسلامية نشاطاً وأكثرها ميلاً إلى العنف . وهو يقاوم فى آن واحد الشيوعية والاستعمار الغربى ولهذا الحزب منظمة عسكرية سبّبت للحكومة المركزية بعض المتاعب .

وللمتطرفين حزب أو جماعة باسم « دار الإسلام » وهى فى الواقع منظمة ثورية لها متطوعوها ومقاتلوها . ودعوتها تنطوى على المطالبة بإقامة حكومة دينية إسلامية فى هندونيسيا ، تأخذ بتعاليم القرآن وتطبق أحكامه تطبيقاً حرفيا ، أى حكومة قائمة على الشرع فقط . وجاء وقت من الأوقات كانت فيه الجماعات المسلحة التابعة لهيئة دار الإسلام مسيطرة على جزء من جاوى ، تفرض إرادتها على السكان وتهدد كيان البلاد ، مما أثار شبه حرب أهلية بين الهندونيسيين . وبين هذه الهيئة الثورية والهيئات الأخرى ، الدينية وغير الدينية ، خصام وصراع يدوران حول الخلاف على الوسائل والأساليب وطرق الكفاح .

وتألفت فى جزيرة « سيليب » وهى التى تدعى الآن « سولاويسى » جمعية باسم « جمعية سيليب الإسلامية » على غرار هيئة دار الإسلام . ونشب خلاف بين الهيئتين ، على أثر تأسيس الثانية . ولكنه انتهى فيما بعد بالصلح وبقيام شبه

اتحاد بينهما ، بحيث يمكن القول الآن بأنهما أصبحتا هيئة واحدة .

ومن الأحزاب التى تثبت وجودها فى ميدان النشاط السياسى والقومى ، حزب الشعب الوطنى ، وحزب هندونيسيا الكبرى ، وجمعية هندونيسيا الكبرى ، وحزب الشعب الهندونيسى ، وجمعية الشعب الهندونيسى ، وحزب العمال ، والحزب الاشتراكى .

ويظهر من هذه الأسماء نفسها أن الهندونيسيين عند ما يقدمون على تأسيس هيئاتهم السياسية أو الدينية يعنون بالإفصاح عن الفرق بين الحزب والجمعية . ولهذا رأينا أن هناك أسماء متشابهة بين بعض الجمعيات والأحزاب .

وأقبل المسيحيون من جهتهم على تأليف الأحزاب أيضاً ، وأهمها حزب الجمهورية الهندونيسية الكاثوليكى ، وحزب هندونيسيا المسيحى .

والأحزاب المسيحية السياسية عادة على وفاق مع الأحزاب المعتدلة ، وعلى الخصوص مع الحزب الوطنى الذى تولى الحكم فى مطلع عهد الاستقلال .

وللمسلمين أحزاب وهيئات أخرى غير التى جاء ذكرها ، تعمل فى دوائر ضيقة فى مختلف الجزر والأقاليم .

والخلاف بين الحزب الوطنى ومؤيديه ، من ناحية ،

وحزب ماشومى والأحزاب الإسلامية من ناحية أخرى ، أن الفريق الأول ينادى بإقامة نظام مدنى بحت فى هندونيسيا ، لا علاقة ولا أثر للدين فيه ، على اعتبار أن الدين مسألة خاصة بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الشعب ، وأن الدين الإسلامى دين الأغلبية الساحقة من سكان هندونيسيا ، وهذا ما لا يعارض فيه أحد . أما الفريق الثانى فإنه ينادى بإقامة نظام تكون قوانينه ولوائحه وأحكامه مستمدة من القرآن ، ويذهب بعضهم ، كما أسلفنا ، إلى وجوب إقامة حكم إسلامى صريح ، لا يطبق غير أحكام الشرع الإسلامى فى كل شىء .

والمسلمون أنفسهم ، من أعضاء الأحزاب الدينية ومؤيديها وأنصارها ، منقسمون من ناحيتهم إلى فرق تتفاوت آراؤها فى هذا الموضوع ، فمنها من يطالب فقط باحترام المبادئ الدينية والتعاليم الإسلامية ، وتجنّب مخالفتها فى سن القوانين . ومنهم من يطالب بأكثر من هذا .

ولا غرابة فى أن يحتدم الجدل ويتشعب الخلاف بين الأحزاب الهندونيسية ، وأن يتزايد عددها وتتصادم غاياتها وأهدافها ، فى الوقت الذى تجتاز فيه الجمهورية الفتية مراحل السيادة الأولى ، فللاستقرار ثمن لا بد لهندونيسيا أن تدفعه مثل غيرها من البلدان التى طرقت باب الاستقلال فاقتحمته ،

ونزلت إلى الميدان الدولى فصالت فيه وجالت منذ الخطوات الأولى ، وهى اليوم تحاول أن تعوض ما فاتها ، وتساير الزمن ، وتشيد كيانها على أسس متينة ثابتة . . .

ومن تنافر المبادئ ، وتعدد الأحزاب ، وتباين الآراء ، فى هذه المراحل الحاسمة ، سوف ينبثق النور الحقيقى ، ويجىء الهدى الصالح ، فتجد هندونيسيا سبيلها السوى نحو الاستقرار المنشود ، مع السيادة الكاملة ، والتعاون مع أخواتها الشرقيات من أجل السلام والعدل والحق .

الجيش : درع هندونيسيا

كان للجيش الهندونيسى فضل كبير وقسط وافر فى تحقيق الأمانى الوطنية ، وانتزاع الحرية من غاصبيها ، وإرغام الأجنبى المستعمر على رفع كابوسه عن صدر هندونسيا لكى تنطلق حرة من كل قيد ، نحو مستقبلها الزاهر .

لم يكن من مصلحة الهولنديين من قبل أن يكون لهندونيسيا التى يحكمونها جيش وطنى يدرأ عنها الخطر . فالخطر كان صادراً عنهم ، أولاً وآخراً . وكانوا يخافون أن ينقلب الجيش عليهم إذا أنشأوه ودربوه ، فاكتفوا بقواتهم الهولندية ، ووضعوا

العراقيل والعقبات فى سبيل قيام جيش وطنى من الهندونيسيين . والوحدات العسكرية الهندونيسية كانت فى الواقع خاضعة لإرادة الحاكم الهولندى وآلة فى يده يستخدمها كما شاء .

ثم جاء العهد الجديد فتغير كل شىء . . .

نزل اليابانيون فى جزر الهند الشرقية وطردوا منها الهولنديين . وأفسحوا للهندونيسيين المجال لكى يؤلفوا جيشاً نظاميا تحت إشرافهم . فاستغل الهندونيسيون الفرصة وأخذوا من اليابانيين السلاح وانصرفوا إلى إعداد العدة ليكون لهم فى المستقبل القريب جيش تتخذه هندونيسيا درعاً لها .

ويوم احتدم القتال بين الطامعين فى السيطرة على هندونيسيا أى الهولنديين واليابانيين والإنجليز ، ضرب الهندونيسيون بجيشهم الأعداء جميعاً ، واستخلصوا منهم الوطن الهندونيسى فبقى لهم وحدهم !

وعلى أثر إعلان الاستقلال ، وقيام الحكومة الوطنية فى سنة ١٩٤٥ ، أصدر رئيس الجمهورية الدكتور أحمد سوكارنو مرسوماً بإنشاء جيش هندونيسى للدفاع عن الجمهورية الفتية المستقلة ، التى لم يكن قد مضى على إعلانها غير ستة أسابيع فقط .

وتطلع الرئيس حوله باحثاً عن الرجل الذى يصلح للقيام

بالمهمة الجديدة ، مهمة إنشاء الجيش ، فوقع الاختيار على الجنرال سوديرمان المسلم ، الذى كان واحداً من قادة الثورة التحريرية ضد الاستعمار ،وأحرز فى الميادين انتصارات باهرة .

وبالرغم من أن القائد الوطنى الكبير كان مريضاً وفى حاجة ماسة إلى العلاج والراحة ، فقد أقدم على الاضطلاع بالمهمة التى ألقيت على عاتقه ،ونجح فيها إلى أبعد حدود النجاح .

ومما يذكر عن الجنرال سوديرمان الهندونيسى ، أنه فى أثناء وجوده بين رجاله الثائرين ، وجهاً لوجه مع الهولنديين ، أبى أن ينقل إلى المستشفى بسبب اشتداد المرض عليه ، واتخذ إحدى السيارات مقراً له ، وكان يتنقل بها بين رجاله ، مواصلاً عمله كقائد للثورة ، معززاً الروح الوطنية فى نفوس المجاهدين بما أظهره من جلد وصبر وتحمل للمشقات .

كان سوديرمان يقاتل فى الأقاليم . وتم له النصر فدخل العاصمة جاكرتا التى خرج منها الهولنديون راحلين إلى غير عودة .

ومات سوديرمان بعد أن شهد النصر بعينه ، وبعد أن وضع الأسس المتينة لإنشاء الجيش الجمهورى الحديث ، ورسم له الخطط وأعد له أسباب القوة والنجاح .

وكل يوم يمر يزداد معه الجيش الهندونيسى مناعة وخبرة . فتنظيم وحداته سائر على أحسن حال . وقد أوفدت الحكومة ،

بعد إعلان الاستقلال ، بعثات عديدة إلى أمريكا وأوروبا لشراء الأسلحة ، والتمرين على الأساليب الحديثة ، وإتمام ما يلزم من التدابير للوصول بالجيش إلى المرتبة التى تتفق مع مركز البلاد الجديد ، واستقلالها التام ، وسيادتها المطلقة .

وقد حاول الهولنديون أن يسببوا لجيش هندونيسيا المتاعب ، ولعبت الدسائس دورها داخل صفوفه ، وحدث فى هندونيسيا ما حدث فى غيرها من البلدان التى تخرج من حال إلى حال ، وتنتقل من حكم أجنبى إلى حكم وطنى ، وتتلمس طريقها فى بادئ الأمر بشىء من الصعوبة والاضطراب .

والمهم أن يصبح لهندونيسيا جيش يحميها من كل خطر خارجى . وهذا ما يتوفر لها اليوم ، بعد أن طهر الهندونيسيون أرضهم من كل أثر للسيطرة الأجنبية .

وهذا الجيش الوطنى الذى تتخذ منه هندونيسيا اليوم درعاً تحمى كيانها من الخارج ، وأداة تدعم هذا الكيان فى الداخل ، بدأ صغيراً مفكك الأوصال ، ثم اكتسب مع الوقت قوة ومناعة وتنظيماً . . .

كانت نواته الأولى مكونة من المجندين الذين كانوا تحت السلاح فى عهد الاحتلال اليابانى : فقد سرّح هؤلاء المجندون ثم انضموا إلى جماعات الثوار الذين جندتهم الهيئات الوطنية

لاستخلاص الحرية من غاصبيها .

والتحق بتلك النواة جنود من اليابانيين أنفسهم ، ظلوا فى البلاد بعد رحيل الجيش اليابانى ، وآثروا العمل فى صفوف الهندونيسيين .

من هؤلاء جميعاً تألفت الوحدات الأولى للجيش الوطنى بهندونيسيا . وكانت وحدات متباينة غير متجانسة فى زيها ، وتدريبها ، وتسليحها . . .

ولكن الحركة الوطنية المنتصرة ، التى صنعت المعجزات فى هندونيسيا المترامية الأطراف ، صنعت من بينها معجزة الجيش الوطنى !

والذى حدث فى هندونيسيا من هذا القبيل ، بعد رحيل المحتلين ، يشبه ما حدث فى بلدان عربية مرت بالمراحل نفسها ، كسوريا ولبنان مثلاً ، بعد رحيل الفرنسيين . . .

ومعظم الضباط الهندونيسيين اكتسبوا خبرتهم ومكانتهم وقدرتهم فى المعارك التى خاضوا غمارها ، أكثر مما اكتسبوها فى المعاهد الحربية !

اللغة الهندونيسية

فى جزر الهند الشرقية نحو ٢٥ لغة يتخاطب بها السكان . وتتشعب عن هذه اللغات لهجات محلية لا تقل عن ٢٥٠ لهجة . وكان من الصعب إيجاد لغة واحدة يفهمها جميع الهندونيسيين ويتخاطبون بها ، فى العهد الماضى ، بالنظر إلى تعدد الجزر ، وبعد الشقة بينها ، وصعوبة المواصلات والانتقال ، واضطراب الحالة فى معظم الأحيان .

يضاف إلى هذا امتناع الهولنديين عن عمل أى شىء من أجل اللغة ، وتوحيدها ، ونشرها . لأن هذا لم يكن فى مصلحتهم

ولكن سنة التطور لا تقاوم . وكان لا بد أن يجىء يوم يصبح لجميع سكان هندونيسيا لغة يتخاطبون بها ويفهمونها كلهم ، مع بقاء اللهجات المحلية قائمة بين السكان كسابق عهدها .

وقد وجدت هذه اللغة فعلاً ، مع مرور الزمن ، وهى مشتقة من لغة الملايو ، الشائعة فى الماضى فى تلك الجهات .

واسم هذه اللغة « باهاسا هندونيسيا » وهى اليوم تدرس فى المدارس ، وتطبع بها الكتب ، وتستعمل فى الدوائر الرسمية

والمخاطبات الحكومية والأعمال التجارية .

ولغة باهاسا هندونيسيا تستوعب كلمات وعبارات كثيرة من لغات الجزر ومن لغة الملايو على الخصوص . وكان للنهضة الوطنية فى البلاد ، وللثورات التى نشبت فيها على الاستعمار ، وتنظيم العلاقات التجارية بين الجزر ، واتساع حركة التنقل ، واتصال الزعماء الوطنيين بعضهم ببعض ، فضل كبير فى تحقيق هذا التوحيد ، وإيجاد لغة صالحة لتكون لغة التخاطب ولغة الكتابة للهندونيسيين جميعاً ، كما هى الحال الآن بالنسبة إلى لغة باهاسا هندونيسيا .

ولكن هذه اللغة لم تصبح بعد عامة شاملة ، خصوصاً فى الأوساط الشعبية والبيئات الأمية . بل هناك لغة أخرى ، يصفونها بأنها لغة « البازار » أى السوق أو الشارع ، يتخاطب بها الناس خصوصاً إذا كانوا من جزر مختلفة ، لأنها خليط من الكلمات الملاوية ، والهندية ، والصينية ، والعربية ، والإنجليزية ، والهولندية ، وغيرها ! . . .

واللغة الهولندية منتشرة انتشاراً كبيراً . ولا غرابة فى هذا . فقد بقيت لغة الحكومة الرسمية مدة ثلاثة قرون ، وكان الهولنديون يرعونها بعنايتهم ، ويعلمونها فى المدارس دون سواها ، فى الوقت الذى كانوا فيه يحاربون اللغات الوطنية فى جميع الجزر

المنكوبة باحتلالهم ، ويضعون الهندونيسيين أنفسهم فى مركز يضطرون معه لاستعمال اللغة الهولندية لتصريف أعمالهم .

وكانت اللغة الهندونيسية الحالية تكتب بالحروف العربية . ولكن الهولنديين جعلوا كتابتها بالحروف اللاتينية فى أوائل القرن العشرين . وتهجئة الحروف ، والكلمات التى تتركب منها ، صوتية ، لا تعقيد فيها ولا إبهام ولا حروف مهملة . ولهذا فإنها تعد من أسهل اللغات وأكثرها بساطة فى العالم .

ولا توجد صيغة خاصة للماضى والحاضر والمستقبل . بل يفهم هذا من سياق الكلام . وليس أسهل من تصريف الأفعال فى اللغة الهندونيسية وليس فيها أحرف التعريف . بحيث أن بضعة أيام تكفى للغريب لكى يتمكن من أن يتفاهم مع الناس ، ويحصل على حاجته ، ويدبر أموره .

ومن أغرب ما فى اللغة الهندونيسية — أو على الأصح من أغرب ما ليس فيها — خلوها من أداة الجمع . ويتم الجمع بأن تكرر الكلمة نفسها مرتين أو ثلاثة .

مثلاً : « روماه» معناها « بيت »

« روماه — روماه» معناها بيتان أو بيوت . وفى اللغة الهندونيسية كثير من الكلمات العربية الباقية كما هى أو المشتقة من كلمات عربية أدخل عليها بعض التحريف.

وإليك بعض الأمثلة الملفتة للنظر :

– مقعد (كرسى) – كرسى
– صابون – سابون
– قرطاس (ورق) – كيرتاس
– منضدة – ميدها (من مائدة)
– استراحة – استراحات
– سلام – سلامات

والكلمات الأوربية الباقية كما هى ، أو المحرفة ، كثيرة أيضاً . أدخلت على اللغة الهندونيسية حسب الحاجة إليها ، فى خلال الحكم الهولندى الطويل .

وفيما يلى بعض كلمات وعبارات تعطى فكرة كافية مما هى عليه هذه اللغة التى أظن أنها أقرب اللغات إلى لغة « الاسبيرانتو » التى يريد أنصارها أن يجعلوها لغة التخاطب الموحدة بين الشعوب :

أسماء أيام الأسبوع :

الأحد : هارى مينجو
الاثنين : هارى سنين
الثلاثاء : هارى سلاسا
الأربعاء : هارى ريبو

الخميس : هارى كيميس

الجمعة : هارى دجومات

السبت : هارى سابتو

وكلمة « هارى » معناها « نهار » أو « يوم » ويبدو فى الأسماء السبعة الشبه أو الأصل العربى واضحاً .

أشهر السنة :

يناير : جانوارى

فبراير : فبروارى

مارس : ماريث

إبريل : ابريل

مايو : ماى

يونيو : دجونى

يوليو : دجولى

أغسطس : أغسطس

سبتمبر : سبتمبر

أكتوبر : أكتوبر

نوفمبر : نوفمبر

ديسمبر : ديسمبر

كلمات وعبارات منوعة :

— موسم الحر	: موسم كيمارو
— موسم المطر	: موسم هودجان
— ساعة	: اورلودجى
— دقيقة	: مينوت
— غرفة	: كامار (من قمرة)
— غرفة طعام	: كامار ماكان
— غرفة نوم	: كامار تيدوم
— حمام	: كامار ماندى
— صباح الخير	: سلامات باجى
— مساء الخير	: سلامات مالام
— أهلاً وسهلاً	: سلامات راثانج
— الوداع	: سلامات ثجال
— مع السلامة	: سلامات دجالان
— سجاير	: سيكاريت
— مطعم	: روماه ماكان
— محطة	: ستاسيون
— سوق	: باسار

ومن هذه الأمثلة يتضح وجود الكلمات الغريبة — عربية وغربية — بكثرة فى اللغة الهندونيسية . وفى هذا ما يساعد الأجنبي ويسهل عليه درس هذه اللغة أو على الأقل حفظ ما يكفى من الكلمات للتفاهم مع الناس .

وإذا حفظ الغريب ثلاثمائة كلمة هندونيسية ، فإنه يصبح قادراً على التخاطب مع أهل البلاد ، ولن يحتاج إلى مترجم لأن لغة التخاطب كلها لا يتجاوز عدد كلماتها ثمانمائة كلمة — أو ألف على أوسع تقدير ، إذا حسبنا حساباً لما أضيف إليها من كلمات جديدة فى عهدها الحاضر .

لغة خفيفة ، ظريفة ، مثل البلد ، ومثل السكان !

التعليم والمدارس

الجهل ، والفقر ، والتفرقة : بهذه الأسلحة الثلاثة يستعين المستعمرون عادة لدعم سيطرتهم على الشعوب التى يستعمرون بلادها ويستعبدون أفرادها وجماعاتها . وبعدم معالجة الفقر ، وإبقاء الجهل ، وإذكاء روح التفرقة ، استعان الهولنديون فى هندونيسيا لحكم البلاد حكماً مباشراً لهم فيه كل الغنم ولأهل البلاد كل الغرم .

كان عدد المدارس محدوداً فى جميع أنحاء جزر الهند الشرقية . وكانت درجة التعليم منخفضة . وعدد التلاميذ لا يذكر بالنسبة إلى عدد السكان . وكان القادرون على ذلك من الهندونيسيين يرسلون أبناءهم إلى الخارج لكى يتلقوا العلم فى مدارس البلدان الشرقية أو الغربية على السواء . ولكن حتى هذا كان الهولنديون يحاربونه ويضعون له العراقيل .

كانت المدارس التى تفتح فى عهد الاحتلال الهولندى ، مدارس هولندية ، لأبناء الهولنديين ، ولأعوان الهولنديين . منها كان يتخرج الموظفون الكبار ، والتجار وأرباب الصناعات وإذا احتاجت الحكومة إلى موظفين آخرين ، فإنها كانت تجىء بهم من هولندا نفسها .

ولكن الحاجة إلى صغار الموظفين ، بعد مرور الزمن ، اضطرت المسؤولين إلى الاستعانة بأبناء البلاد ، ففتحت لهم بعض المدارس الابتدائية ، ليرسلوا إليها أبناءهم . ولكن ذلك بقى محصوراً فى نطاق ضيق . فنى سنة ١٩١٥ كان عدد التلاميذ فى هذه المدارس لا يزيد على ١٦٠ ألفاً . وارتفع فى سنة ١٩٣٩ إلى نحو ٩٧٠ ألفاً . وهذه الأرقام تبدو حقيرة متى تذكرنا عدد السكان فى ذلك الوقت وقارناها به ! . . .

وكان الهولنديون يشجعون الهندونيسيين على إرسال أبنائهم

إلى المدارس الهولندية فى هندونيسيا ، لأن تلقى هؤلاء الأبناء علومهم فى هذه المدارس ، يجعل منهم أداة صالحة لخدمة السياسة الاستعمارية فيما بعد ، أو يؤهلهم على الأقل للتعاون مع الهولنديين بروح المودة والولاء . أو هذا على الأصح ما كان الهولنديون يعتقدونه .

وصفوة القول ، أن التعليم الأولى والابتدائى ، فى عهد الاستعمار الهولندى ، كان ضعيفاً ، مهملاً ، لا يتفق مع اتساع البلاد ، وعدد سكانها ، ووفرة إنتاجها . . .

أما التعليم العالى فقد كان ضيقاً أيضاً ومحصوراً فى دائرة صغيرة . ولم تعرفه هندونيسيا إلا بعد الحرب العالمية الأولى .

وجاء عهد الاستقلال فكان التعليم موضع اهتمام المسؤولين منذ اليوم الأول . فعدد المدارس الابتدائية تضاعف أكثر من مرة بالنسبة إلى ما كان فى عهد الاستعمار . وقيل لى فى جاكرتا إن فى هندونيسيا الآن نحو ٣٣ ألف مدرسة ابتدائية أنشىء معظمها فى عهد الحكومة الوطنية .

وأنشأت الحكومة أيضاً نحو ٥٥٥ مدرسة للمعلمين ، لكى تسد بها النقص فى عدد الأساتذة التى تحتاج إليهم المدارس الابتدائية . وكان عدد مدارس المعلمين قبل الاستقلال ٢٠ فقط .

وقال أحد الوزراء فى مؤتمر باندونج أن حكومة هندونيسيا ستحاول جهدها أن يكون عدد المدارس العليا ، بالنسبة إلى عدد السكان ، كمثله فى أوربا بالنسبة إلى عدد سكان كل بلد.

وفى هندونيسيا الآن ثلاث جامعات .

وعدد التلاميذ يزداد زيادة مطردة . . .

كان أكبر عدد لتلاميذ المدارس الابتدائية فى عهد الحكم الهولندى مليون وأربعمائة ألف من مجموع عدد السكان . وبعد إعلان الاستقلال ، ارتفع هذا العدد وتزايد كل سنة فبلغ سبعة ملايين فى سنة ١٩٥٣ ووصل إلى ثمانية ملايين فى سنة ١٩٥٥ . وقال لى وزير المعارف إن هذا العدد سوف يبلغ – حسب تقديره – ١٢ مليوناً فى ظرف سنتين أو ثلاث سنوات أخرى .

وأنشأت الحكومة الوطنية آلاف المدارس الابتدائية فى القرى التى لم يكن فيها مدارس قط .

وبعد الحرب العالمية الأولى ، تأسست المعاهد الآتية فى عهد الاستعمار :

– كلية الهندسة بمدينة باندونج فى سنة ١٩٢٠
– كلية الحقوق بمدينة جاكرتا فى سنة ١٩٢٤
– كلية الطب بمدينة جاكرتا فى سنة ١٩٢٧

– مدرسة طب الأسنان بمدينة سورابايا فى سنة ١٩٢٨

– أكاديمية الموظفين المدنيين بمدينة جاكرتا فى سنة ١٩٣٩

– كلية الآداب والفلسفة بمدينة جاكرتا فى سنة ١٩٤٠

– كلية الزراعة بمدينة بوغور فى سنة ١٩٤٠

وفى عهد الاحتلال اليابانى لم يشجع اليابانيون التعليم بل عطلوه وأغلقوا الكليات مدة طويلة .

وبدأت النهضة التعليمية الحقيقية بعد الاستقلال ، منذ سنة ١٩٤٥ :

تأسست جامعة جديدة بجوكجاكرتا سنة ١٩٤٥ والثورة ضد الهولنديين مستعرة .

وتأسست جمعية نماجه مادا فى سنة ١٩٤٦ بفضل لجنة التعليم العليا التى أنشأها فريق من الجامعيين .

وتم توحيد معهدين إسلاميين باسم الجامعة الإسلامية الهندونيسية .

وبذلت الحكومة المساعدات لتشجيع التعليم الحر فى كل درجاته وأشكاله فازدادت المعاهد الحرة ازدهاراً وتضاعف الإقبال عليها .

وعقدت هندونيسيا مع مصر اتفاقاً ثقافيا لتوثيق التعاون بين البلدين فى مضمار التعليم وتبادل الأساتذة وقبول البعثات .

وهكذا يقطع التعليم أشواطاً بعيدة متتالية فى عهد العزة والكرامة والحرية .

وتعمد الهيئات الإسلامية التى تضاعف نشاطها منذ رحيل المستعمرين ، إلى فتح المدارس على نفقتها الخاصة ، وتحت إشرافها ، فى الأقاليم على الخصوص ، والحكومة تشجع هذه الهيئات على المضى فى نشاطها ، وتسهل لها أداء رسالتها .

ومن المدارس التى من هذا النوع ، تلك التى أنشأتها « شركت إسلام » التى سبقت الإشارة إليها ، وهى أقدم هيئة إسلامية فى البلاد .

وهكذا ، فى السنوات الأخيرة ، بدأت نسبة الأمية بين أبناء الشعب الهندونيسى تهبط سنة بعدسنة ، بفضل هذه النهضة فى مضمار التدريس والتعليم .

الصحافة

الصحافة فى هندونيسيا تتقدم الآن بسرعة . فهى كغيرها من المرافق العامة ومظاهر النهضة الشاملة ، تنطلق فى سبيلها بعد أن زالت العراقيل وتحطمت القيود .

لا يمكن القول بأنه كان لهندونيسيا صحافة وطنية فى عهد

الحكم الهولندى الرهيب . فالصحف كانت قليلة العدد ، محدودة الصفحات ، ضعيفة الإيراد ، ضيقة الانتشار ، مرهقة بالنفقات والضغط والرقابة الصارمة . فقانون المطبوعات الذى كان نافذاً فى ذلك العهد لم يكن يختلف عن أمثاله من القوانين التى يسنها المستعمر للتحكم فى الرأى العام وكبح جماح الشعور الوطنى والنهضة القومية .

كان على الصحف أن تنشر ما يريده منها الحاكم الهولندى أن تنشره ، وتمتنع عن نشر ما لا يروق الحاكم أو لا يتفق مع سياسة الحكومة ، وهى حكومة هولندية إذ أن هندونيسيا كانت مستعمرة يدير شؤونها حاكم هولندى عام ، يعاونه حكام للأقاليم ، وموظفون من بنى قومه .

ثم دقت ساعة الخلاص والتحرر . . .

هبط اليابانيون فى هندونيسيا فأغدقوا الإعانات على الصحف الوطنية وعطلوا الصحف الهولندية . ولكنهم فعلوا ذلك لا حباً بالهندونيسيين ولا رغبة منهم فى إطلاق الحرية للصحافة والنهوض بها . بل أرادوا بما فعلوه أن يستغلوا الصحف المحلية كأبواق للدعاية لهم .

كان لهم ما أرادوا . ولكن الصحافة الهندونيسية جنت بعض الفوائد من جراء هذه السياسة التى سار عليها اليابانيون .

فقد تحسنت ، بفضل توفير المال ، طرق الطباعة ، وأسلوب الكتابة ، واتسع نطاق التوزيع ، واحتلت اللغة الهندونيسية ، لغة البلاد والسكان ، المكانة الأولى ، بعد أن كانت اللغة الهولندية هى التى تحتل تلك المكانة . بل إن اليابانيين حرموا اللغة الهولندية وشجعوا اللغة الهندونيسية على حسابها ، فخدموا بهذا الصحافة واللغة والكتابة والتعليم ، وفتحوا أمام حملة الأقلام آفاقاً جديدة ، زادت اتساعاً لما رحل الحكام الأجانب جميعهم وبقيت البلاد لأهلها .

مرت الصحافة الهندونيسية بظروف حرجة وتقلبات متوالية ، وخرجت فى النهاية رابحة منتصرة . فقد حاول الهولنديون خنقها مرة أخرى بعد أن عادوا إلى هندونيسيا مع حلفائهم الإنجليز . وأثرت الخلافات الحزبية والثورات المحلية الإقليمية فى مواصلة الصحف سيرها إلى الأمام. ولم توضع الأسس النهائية للنهضة الصحافية إلا فى عام ١٩٤٩ ، بعد الاعتراف بالجمهورية الهندونيسية ، ووضع مادة فى الدستور الهندونيسى ينص على « حرية الرأى لجميع سكان الجمهورية » وسن القوانين المستمدة من الدستور الجديد ، واللوائح الخاصة بالتعبير عن الرأى قولاً وكتابة وعملاً .

حل قانون جديد للمطبوعات محل القديم . وأنشئت

نقابة للمحررين ، وجمعية لأصحاب الصحف . وعقدت الهيئتان مؤتمراً عامًّا للمرة الأولى فى شهر يونيو سنة ١٩٥٢ تباحث فيه الصحافيون بحرية تامة فى مختلف الشئون التى تهمهم .

وتتابع إصدار الصحف منذ ذلك الوقت : معظمها يومية سياسية ، وكثير منها أسبوعية مصورة . وإقبال الناس على قراءة الصحف يزداد يوماً عن يوم بازدياد نسبة المتعلمين من ناحية ، واهتمام الجمهور الهندونيسى بشؤون وطنه ، وتتبعه سير الحوادث فى العالم .

ورجال الصحافة الهندونيسيون يقومون برحلات متوالية إلى الخارج ، وعلى الخصوص إلى البلدان الأسيوية والعربية . وفى هذا ما يساعد كثيراً على ترقية صحفهم وجعلها متمشية مع النهضة الشاملة التى تعم بلادهم .

فى أثناء انعقاد مؤتمر « باندونج » كان للصحافة مكتب يهتم بها ويرشدها ويقدم لها ما هى فى حاجة إليه من وسائل الاستعلام والاستفسار والإرسال . وكان القائمون بأمر هذا المكتب على جانب كبير من العلم والدراية واللطف . بعضهم من رجال الصحافة الهندونيسية ، وبعضهم من موظفى الحكومة . وقد دل نجاحهم فى مهمتهم على أن « الوطنيين » فى هندونيسيا ، كالوطنيين فى كل بلد شرقى آخر ، قادرون على الاضطلاع

بأعباء أي عمل من الأعمال التى كان الغربيون المستعمرون يدعون أنهم وحدهم جديرون بالقيام بها .

إن أمام الصحافة الهندونيسية مستقبلاً زاهراً عظيماً . وهذه الصحافة ، التى تساهم الآن فى دعم النهضة الوطنية فى هندونيسيا تقوم أيضاً بنصيبها ، المتزايد يوماً بعد يوم ، فى تأييد السياسة التى تم عليها الاتفاق فى المؤتمر الأسيوى الإفريقى ، وعرفت بمبادئ باندونج : سياسة الحياد الإيجابى ، والعمل للمحافظة على السلم والانتصار للحريات فى كل آن ومكان .

اطلعت فى الدوائر المختصة على بيانات عن تطور الصحافة فى هندونيسيا ، فإذا بها تثبت مرة أخرى أن سياسة الاستعمار هى هى فى كل مكان وفى كل ظرف وحال !

كان الهولنديون يشجعون الجرائد التى تصدر باللغة الهولندية ويغدقون عليها الهبات والإعانات ، لأنها أداة فى يد الحكومة تستخدمها كما تشاء . وحاول الوطنيون فى أوائل القرن الحاضر أن يتخذوا الصحافة منبراً لهم ، لإرسال صوتهم بالدفاع عن حقوقهم والمطالبة بها . ولكن الصحف الوطنية التى صدرت حوربت منذ اللحظة الأولى ، ولم تستطع القيام برسالتها إلا فى نطاق ضيق .

واتفق العاملون فى حقل الصحافة ، فى سنة ١٩٣٣ ، على

إنشاء « اتحاد الصحافيين الهندونيسيين » للنهوض بصحفهم ومعالجة الحالة السيئة التى كانوا يتخبطون فيها . وهكذا ظل الصحافيون يكافحون ويقاومون الصعاب ويصمدون للضغط والاضطهاد والمضايقة ، حتى شيدوا للصحافة الهندونيسية أسساً قامت عليها ، فى انتظار ساعة الفرج للانطلاق فى سبيل التقدم

فى عهد الاحتلال اليابانى ، كانت تصدر فى هندونيسيا الصحف الآتية :

- سوارا آسيا « صوت آسيا » بمدينة سورابايا
- آسيا رايا « آسيا العظمى » بمدينة جاكرتا
- « جاهيا باندونج « شعاع باندونج » بمدينة باندونج
- سينار بارو « الضوء الجديد » بمدينة سمارانج
- سينار ماتاهارى « ضوء الشمس » بمدينة جوكجا
- كونغ يونغ باو - بمدينة جاكرتا

ولم يكن هذا بكثير ، بالنسبة إلى سعة البلاد وعدد السكان . . .

وحتى هذه الصحف القليلة ، لقيت من الصعوبات ، بسبب اضطراب الحالة ، ما اضطر بعضها إلى التوقف عن الصدور .

ثم أزف عهد الانطلاق ، أو العهد الذهبى للصحافة ،

إذا قيس بالعهود الماضية . . .

في سنة ١٩٤٩ كان يصدر في هندونيسيا **٧٥** صحيفة يومية . فارتفع هذا العدد إلى ١٠٣ صحف في سنة **١٩٥٣** . وكان مجموع عدد النسخ التي تطبع يوميا من هذه الصحف نحو نصف مليون في سنة ١٩٤٩ فارتفع إلى نحو ٦٥٠ ألفاً في سنة **١٩٥٣** .

وفي سنة ١٩٥٥ كانت تصدر في هندونيسيا بانتظام جرائد يومية كثيرة ، ومجلات أسبوعية ، وشهرية ، ونشرات للأنباء : **٢٣** جريدة يومية في العاصمة جاكرتا وحدها . أكبرها وأوسعها انتشاراً جريدة « كينغو » .

وفي العاصمة ثلاث وكالات للأنباء معترف بها من الحكومة وكالة « أنيتا » ووكالة « أنتار » ووكالة النشر العربي . والثانية وطنية أنشئت برأس مال هندونيسي . والثالثة تصدر نشرة بالهندونيسية وأخرى بالعربية .

ومن الصحف الكبرى الجرائد الآتية ، وكلها باللغة الهندونيسية : بادومان — هاريان رعيه — أبادي — مرديكا — هندونيسيا رايا أو رعية — بيجاندانجان — وغيرها .

وتصدر جرائد أخرى باللغة الهولندية ، واللغة الإنجليزية .

وتصدر مجلتان باللغة العربية بخلاف نشرة الأخبار : مجلة الإذاعة واسمها «صوت هندونيسيا» ومجلة «الشؤون الهندونيسية» .

وفى سنة ١٩٥٢ عقد الصحافيون الهندونيسيون مؤتمراً عاما للبحث فى شؤون مهنتهم .

الدين لله

فى عصور التاريخ الأولى ، كان سكان جزر الهند الشرقية يدينون بدين الطبيعة ، أو فلنسمه دين « الروح » أى أنهم كانوا يعتقدون أن الطبيعة مصدر كل شىء ومرجعه وأن للأحياء والأشجار أرواحاً تحوم حولها وتحرسها ، وإن كل حركة من حركات الإنسان تسيرها الروح الحائمة حوله . وكانوا يقدمون القرابين للأشجار والحيوان استرضاء لأرواحها — أو بعبارة أخرى للآلهة القائمة على حراستها .

وفى القرن الخامس للميلاد ، حمل الصينيون والهنود إلى الجزر الخضراء معتقداتهم الدينية ، أى الديانتين البوذية والبرهمانية .

وانتشرت الديانتان انتشاراً واسعاً عم الجزر كلها أو جلها ، وشيدت المعابد التى لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم ، أو بقيت آثاره تتحدث عنه .

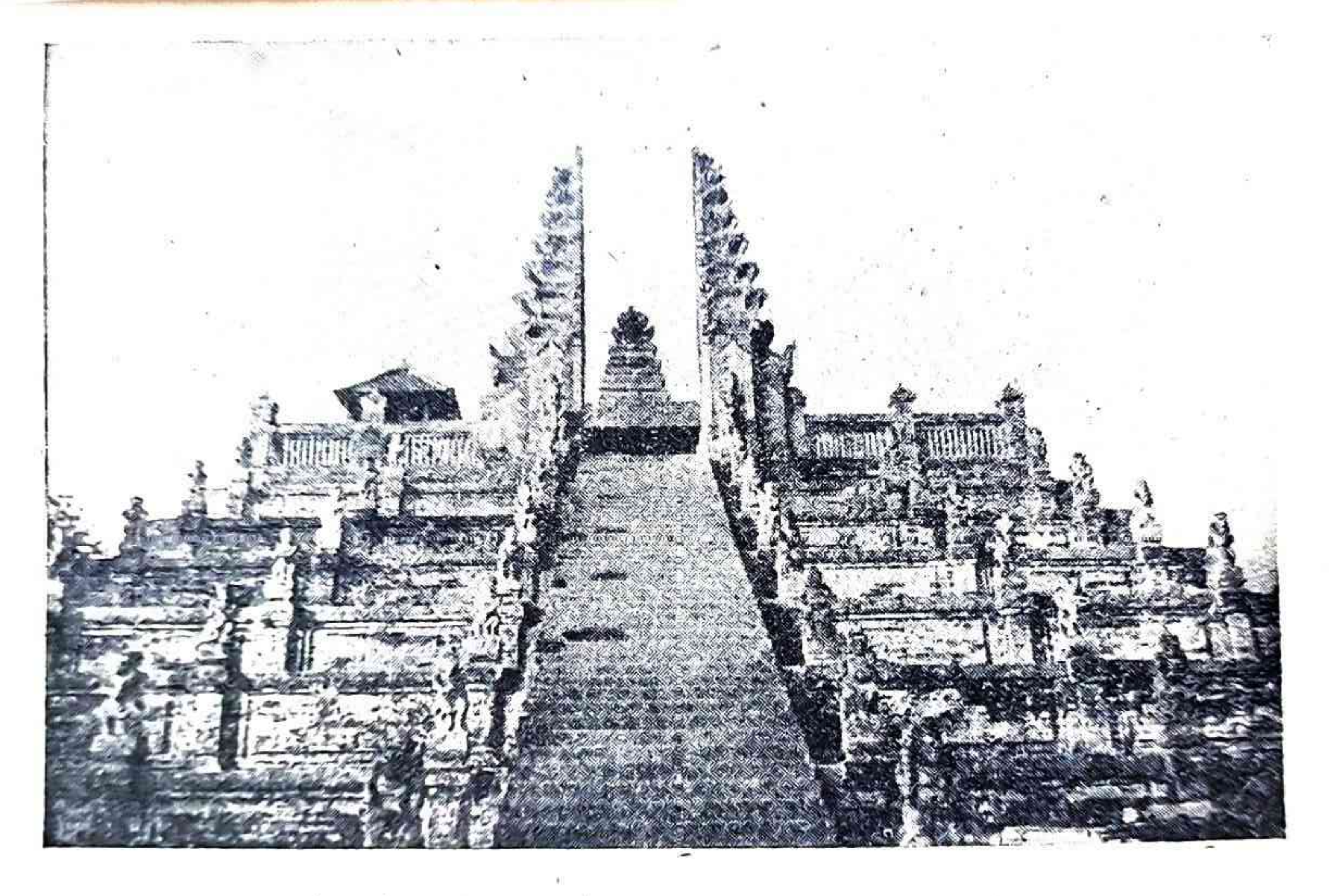
وحمل التجار العرب معهم إلى الجزر الخضراء دينهم ولغتهم وثقافتهم . وكان ذلك فى القرن الحادى عشر للميلاد .

وساهم الفرس أيضاً فى هذا الغزو الروحى ، كما ساعد على نشر الدين الجديد قيام فريق من التجار الجاويين أنفسهم برحلات إلى سواحل الجزيرة العربية ، بعد أن انتظمت المواصلات بين بلادهم وبلاد أولئك التجار العرب الذين كانوا البادئين بزيارتهم.

وجاء العرب إلى جزر الهند الشرقية على مراحل . فقد نزلوا أولاً فى سواحل الهند الجنوبية . ومنها اتجهوا بسفنهم أو بطريق البر إلى بلاد الملايو أو شبه جزيرة « مالاكا » والمدينة التى تحمل هذا الاسم . ويغلب على الظن أن كلمة « مالاكا » ما هى إلا تحريف لكلمة « ملاقاة » أو « ملتقى » أى المكان الذى يلتقى فيه القوم . وقد يكون العرب هم الذين أطلقوا هذا الاسم على المدينة وعلى شبه الجزيرة كله .

ومن هناك انتقلوا إلى جزيرة سومطره . ثم إلى جاوى وبقية جزر الهند الشرقية .

واتسع منذ ذلك الوقت نطاق التبادل التجارى بين الجزر الخضراء وموانئ جنوب الهند والخليج العربى وجنوب الجزيرة ، والبحر الأحمر ، كما انتظم سفر القوافل ذهاباً وإياباً بين موانئ البحر المتوسط وموانئ الخليج العربى ، بطريق البر ، وذلك فى القرن الرابع عشر وبعده ، ممّا أدى إلى تعميم الدين الإسلامى فى معظم الجزر ، وإنشاء المساجد والتكايا ودور التدريس الدينى ،



فى القرن الخامس للميلاد شيدت المعابد البوذية فى الجزر الخضراء

بحيث حل الإسلام شيئاً فشيئاً محل البوذية والبرهمانية ، وأصبح اليوم يدين به تسعون بالماية من السكان .

ودخل الدين المسيحى مع الغربيين الذين جاؤوا غزاة مستعمرين ، وكان الدين من العوامل التى يعتمد عليها المغامرون الأوربيون والقائمون بالأمر فى الدول الاستعمارية للفوز بتأييد الكنيسة فى مشروعاتهم الاستعمارية ، والحصول على رضى البابا وعطفه .

ولهذا ، فإن فى هندونيسيا اليوم أقلية مسيحية لا يستهان بها ، وليس أفرادها من الأوروبيين فقط ، بل إن معظمهم من السكان الهندونيسيين ، أو الصينيين المهاجرين ، أو المولدين . ولهم كنائسهم ومدارسهم ومعاهدهم المختلفة وللفاتيكان ممثل فى جاكرتا يرعى شؤون المسيحيين الروحية بواسطة رجال الدين .

وروح التسامح فى هندونيسيا لا مثيل لها فى أنحاء العالم كله . فلم يحدث قط ، فى تاريخ هندونيسيا الطويل ، الملىء بالتقلبات والحروب والثورات والغزوات ، أن وقعت حوادث اضطراب أو فتنة أو قتل أو غير ذلك من الأمور ، بسبب العقائد الدينية ، والحزازات المنبعثة من التعصب .

قامت فى هندونيسيا ثورات ، وحدثت اضطرابات ، وتقاتل الناس بعضهم مع بعض ، أو قاتلوا الأجنبي الدخيل ، ولكن

ذلك كله كان لأسباب قومية ، أو بدوافع سياسية ، ولم يكن قط فى مرة من المرات مطبوعاً بطابع النعرات الدينية .

وقد حاول الهولنديون عبثاً ، فى مناسبات عديدة ، وأوقات مختلفة ، أن يفرقوا بين الهندونيسيين تفرقة قائمة على العقائد الدينية لكى يضعفوا فيهم الروح القومية ويحولوا الحركة الوطنية عن هدفها الصحيح . ولكنهم فشلوا فى تلك المحاولات لأنها لم تجد آذاناً صاغية ، لا عند الأكثرية الإسلامية ، ولا عند الأقلية المسيحية والبوذية .

وظل صوت المؤذن يرتفع فى آن واحد مع دقات الأجراس ، وظل المسلمون والمسيحيون والبوذيون يصلون إلى الله فى مساجدهم وكنائسهم وهيا كلهم من أجل هندونيسيا الحرة الناهضة !

ومن ألطف ما اتضح لى فى أثناء إقامتى القصيرة فى هندونيسيا ، حرص المسلمين والمسيحيين ، كل فريق من جهته على تبادل التهانئ بينهما فى الأعياد الإسلامية والمسيحية على السواء .

وقيل لى إن المجاهدين ، فى خلال الثورات وحروب الاستقلال ، ومعظمهم طبعاً من المسلمين ، كانوا يتولون دفن رفاقهم المسيحيين الذين يلاقون مصرعهم مستشهدين فى ميدان القتال ، حسب الطقوس المسيحية . وكان المسيحيون

يفعلون مثل هذا مع رفاقهم المسلمين الذين يستشهدون .

ولفت نظرى قيام كثير من المساجد والكنائس جنباً إلى جنب . . .

ويتضح من الإحصاءات الرسمية لسنة ١٩٥٢ أن عدد المساجد فى جزر الهند الشرقية يبلغ ٤٤٦٢٧ مسجداً كبيراً و ١٣٠٤٨٩ مسجداً صغيراً و ١٤٦٩٦ معهداً دينيا .

ويتضح من الإحصاءات نفسها أن عدد الكنائس فى البلاد بلغ ٦٥٠٣ كنائس وعدد المسيحيين ٣١٤١٥٦٧ فى تلك السنة . أما البوذيون والهندوس البراهمانيون فيزيد عددهم على المليونين . وهناك أديان أخرى لها أتباع بين الأقليات .

والنشاط التبشيرى غير محرم فى هندونيسيا ، لأى دين من الأديان . ويكثر التزاوج بين أتباع الديانات المختلفة . . .

وحرص المشرع الهندونيسى على وضع نصوص خاصة بالأديان فى صلب الدستور . فقد جاء فى إحدى مواده ما يلى : « كل إنسان حر فى عقيدته وضميره ودينه . وهذا الحق يشمل حرية تغيير العقيدة أو الدين ، وحرية القيام بطقوس دينه وإظهار عقيدته ، منفرداً أو بالاشتراك مع غيره ، سرا أو علناً . »

وكانت الشؤون الدينية تابعة فى عهد الاحتلال الهولندى

لمصلحة التربية . ولكن حكومة الاستقلال أنشأت وزارة للشؤون الدينية . وحدد المرسوم الصادر بإنشاء هذه الوزارة أن اختصاصاتها هى :

١ – السهر على حرية كل فرد فى اعتناق الدين الذى يرتضيه وقيامه بمراسيم عقيدته .

٢ – حماية العبادة وتشجيعها وتقويتها .

٣ – مراقبة الثقافة الدينية فى المدارس الحكومية وتقويتها .

٤ – صيانة أماكن العبادة وتحسينها بصرف النظر عن دين أصحابها .

والمساجد فى هندونيسيا مبنية على أكثر من طراز هندسى واحد ، فهناك الطراز العثمانى ، والطراز العربى الأندلسى ، والطراز الهندى ، والطراز المصرى الحديث ، والطراز العباسى والإيرانى . . .

والمساجد من الداخل مفروشة عادة بالسجاجيد النفيسة المعطرة دائماً بالعنبر !

وفى السنوات الأخيرة ، تضاعف اهتمام الأزهر الشريف بهندونيسيا ، فأرسلت من قبله بعثات للتعليم الدينى والوعظ والإرشاد ، ومساعدات وهبات للمدارس والمعاهد المختلفة ، من الكتب وسواها .

وفى جاوى وسومطرة وغيرها من الجزر مساجد تمتاز بضخامتها ودقة زخرفتها وما فيها من نفائس . منها مثلاً مسجد « دماك » بجزيرة جاوى ، والمشهور عنه أنه أول مسجد شيد فى هندونيسيا على أثر دخول الإسلام إليها على أيدى العرب ومسجد « ميدان » بجزيرة سومطرة . ومسجد « جيرى » بجزيرة جاوى . ومسجد « كورس » وغيرها . وبعض هذه المساجد أثرى قديم ينطوى على ذكريات مجيدة .

وهناك مساجد متقنة التصميم والبناء ، أنشئت بإشراف مهندس مشهور فى هندونيسيا ، وتعد من آيات الفن المعمارى الرائعة . . .

واسم المهندس . . . أحمد سوكارنو ! . .

كارتيني والنهضة النسائية

فى ٢١ إبريل من كل سنة ، يحتفل الهندونيسيون على العموم ، والسيدات على الخصوص ، بذكرى باعثة النهضة النسائية وقائدتها وزعيمتها الأولى « إيبو كارتيني » التى ولدت فى ذلك اليوم من عام ١٨٧٩ بإمارة جابارا فى جزيرة جاوى الوسطى لم تعش هذه السيدة النابغة أكثر من ٢٥ سنة . فقد

توفيت فى ١٧ سبتمبر ١٩٠٤ ولكنها حققت فى حياتها القصيرة أملاً كان يختلج فى صدور الكثيرات من نساء هندونيسيا ، ونفذت المراحل الأولى من الخطة التى رسمتها لنفسها منذ نعومة أظفارها ، للنهوض بالمرأة الهندونيسية ورفع مستواها وجعلها جديرة بأن تفوز ببعض الحقوق التى يتمتع بها الرجال .

نشأت فى بيئة ارستقراطية . فأبوها كان من أمراء جاوى وزعيم قومه فى جابارا . فأدخلها مدرسة ابتدائية هولندية — لأن التعليم كان كله بيد الهولنديين فى ذلك الوقت ، وبعد أن ألمت إلماماً كافياً بالقراءة والكتابة ، لزمت بيت أبيها منذ الثانية عشرة ، عملاً بالعادات والتقاليد المتبعة فى تربية البنات .

ولكن بدل أن يصبح البيت للفتاة الصغيرة سجناً ، عرفت إيبوكارتينى كيف تحوله إلى مدرسة !

أطلقت لرغبتها فى المعرفة العنان ، وراحت تلتهم الكتب التهاماً ، وأشفق عليها أبوها بسبب ما تبذله من جهد بلغ حد الإجهاد ، فقرر خلافاً لما يجرى عادة فى الأسر الكبيرة ، أن تعود الفتاة إلى المدرسة وتستأنف فيها تحصيل العلم الذى تتوق إليه ، واغترفت الصبية الذكية من مناهله كل ما توفر لها فى مدارس هندونيسيا ، وكانت تنوى السفر إلى أوروبا لدخول معاهد العلم هناك . ولكن هاتفاً أهاب بها منادياً بأن تبقى فى

بلادها ، لأن المرأة الهندونيسية فى حاجة إلى مثيلاتها .

بقيت إيبو كارتينى فى هندونيسيا ، واعتزمت أن تضع الأسس لنهضة نسائية ترفع المرأة من حضيضها وتطلقها فى مجرى الحياة العامة . بعد أن تجعل منها أداة صالحة للبنيان .

بدأت كارتينى تهتم بالتعليم ، ففتحت مدرسة فى بيتها لبنات جنسها ، واستعانت بأخت لها لمساعدتها فى أداء الرسالة التى أوحى بها إليها ضميرها .

ودونت آراءها وخواطرها ومبادئها فى رسائل جمعتها بين دفتى كتاب لا يزال إلى الآن نبراساً تهتدى النساء الهندونيسيات بهديه . وعنوان هذا الكتاب : « من الظلام إلى النور » وتدل هذه العبارة على فحوى الكتاب إذ أن كارتينى وصفت فيه كيف يجب أن تعمل المرأة لكى تنتقل من ظلام الجهل والخمول إلى نور العلم والعمل . وقد نقل كتاب إيبوكارتينى إلى اللغة الهولندية ، وإلى لغات أخرى فى الشرق والغرب .

ولكن الأجل وافى السيدة المجاهدة فى سبيل بنات جنسها قبل الأوان . وكان الحزن على وفاتها عاما شاملاً فى هندونيسيا كلها ، وأصبح يوم ٢١ إبريل — ذكرى مولدها — يوم المرأة فى جميع أنحاء البلاد ، بقرار من

الهيئات النسائية ، وبموافقة الحكومة الهندونيسية . ويجرى الاحتفال الرئيسى عادة فى قصر الجمهورية بالعاصمة جاكرتا ، وبرعاية رئيس الجمهورية . وتقيم المنظمات النسائية حفلات مشابهة فى المدن والأقاليم ، تخطب فيها زعيمات الحركة النسائية ، وتعرض فيها الألعاب الرياضية ، وتجمع التبرعات لدعم الحركة المباركة التى وضعت إيبو كارتينى لبناتها الأولى .

وحدثت وفاة هذه الزعيمة النسائية فى ظروف خاصة ، فقد وضعت طفلها الأول ، وأصيبت بالحمى ، ففاضت روحها النبيلة بعد أربعة أيام من الحادث السعيد ، واختلطت السعادة بالأسى ، ودموع الفرح بدموع الحزن .

المرأة فى الميدان

المرأة الهندونيسية ناعمة ، هادئة ، بعيدة عن التصنع ، صريحة فى حديثها ، تعرف حدودها وتدرك واجباتها تجاه بيتها ، وأسرتها ، ووطنها على السواء .

لم تكن النهضة النسائية التى دعت إليها إيبو كارتينى قائمة على العنف ، ولا على الصياح ، ولا على عقد الاجتماعات الصاخبة ، والسير فى المظاهرات ورفع الأعلام واللوحات ، ولا

على دعوة الرجل للنزول على إرادة المرأة والاعتراف لها بحقوق كثيرة أو قليلة .

بل كانت حركة كارتيني النسائية مطابقة اطباع المرأة الهندونيسية أى مثلها ، ناعمة ، هادئة ، بعيدة عن التصنع والمبالغة فى الطلب .

قامت حركة كارتيني على التعليم ، والتهذيب ، وإعداد المرأة للقيام بدورها الصحيح فى الحياة .

ولهذا ، فقد حصلت المرأة الهندونيسية على كثير من « الحقوق » والامتيازات ، برضى الرجل وتأييده ، بدون أن يحدث تصادم بين الفريقين ، أى بين الجنسين الخشن واللطيف.

انصرفت المرأة الهندونيسية إلى الدرس والتدريس ، والاطلاع ، وتهذيب النفس وترويض الخلق ، وساهمت مساهمة فعالة فى الحركة الوطنية ، واشتركت فى الثورات ، والمظاهرات ، والاضرابات ، وأقبلت على التضحية مثل الرجل فى سبيل هندونيسيا وحريتها . ولقيت ما لقيه الرجل من اضطهاد وإرهاق ، فدخلت السجن ، وأرسلت إلى المعتقلات ، وواجهت المحاكمات ، وتصدت لجنود الاستعمار ، وامتزج دمها فى المعارك بدم الرجل فارتوت منهما شجرة الاستقلال الهندونيسى .

وكان طبيعيا أن تنال المرأة مكافأة على هذا الجهاد المتشعب

الوجوه : ولهذا ، فإن الوطن الذى خدمته بإخلاص قد اعترف لها بحقوق لا تختلف عن حقوق الرجل ، وفتحت لها القوانين والأنظمة واللوائح الجديدة جميع الأبواب والسبل لمواصلة عملها بعد الاستقلال كما قامت به قبل الاستقلال .

والآن ، فى هندونيسيا الحرة المستقلة ، تعمل المرأة مع الرجل جنباً إلى جنب فى جميع الميادين :

— توالى اهتمامها بالمدارس وشؤون التعليم .

— تشترك فى الحملة على الأمية والجهل للقضاء عليهما .

— تتولى تنظيم الشؤون الصحية لمكافحة الأمراض .

— تشجع الصناعات المحلية .

— تشغل المناصب العالية : بينها مناصب وزارية وإدارية وتجارية عديدة .

— فى مجلس النواب الهندونيسى نائبات يرفعن صوت المرأة مع صوت الرجل فى الندوة التى تمثل الأمة الهندونيسية ، فالمرأة تشترك فى الانتخابات النيابية بلا فرق بينها وبين الرجل .

— للمرأة أثر من نشاط فى ميادين الصناعة ، والتجارة ، والاجتماع ، والصحافة ، والأدب ، ومعظم الأعمال الحرة . . .

والمرأة الهندونيسية لا تعرف الحجاب . والزى الذى ترتديه النساء متشابه فى شكله ، بصرف النظر عن البيئة

التى تنتمى إليها السيدة لابسة الزى . فلا اختلاف إلا فى نوع القماش الذى يصنع منه ذلك الزى الوطنى البسيط ، الذى لا يخلو من جمال ، والذى يمكن للمرأة المتأنقة أن تتفنن فى ارتدائه ما شاء لها التفنن .

والقماش الذى يصنع منه الزى الهندونيسى يدعى « باتيك » وهو يحاك باليد ، من خيوط القطن وغيرها من الخيوط النباتية . ويحمل رسوماً بالألوان على جانب عظيم من الروعة ، فى بعض الأحيان .

وثوب الهندونيسية عادة خفيف ناعم ، بالنظر إلى أن الطقس فى بلادها ليس قاسياً فى الشتاء ، ومتقلباً فى الصيف كما هى الحال فى البلدان الواقعة فى الدائرة الاستوائية .

* * *

وتاريخ هندونيسيا مفعم بالحوادث والوقائع التى لعبت فيها المرأة دوراً ترك من بعدها أثراً باقياً . وإليك بعض الأسماء التى يقع عليها البصر فى مطالعة عاجلة لتاريخ هذا الشعب العريق :

فى شمالى سومطرة ، يذكرون الملكة « صفية الدين » المعروفة باسم « فوترى سرى » بلغة البلاد . وهى ابنة ملك من أبطال الحروب ، جلس على عرش « أجيه » فى أواسط القرن السابع عشر ، وأسمه « اسكندر مودا » وقد حارب هذا البطل

الغزاة البرتغاليين والإنجليز والهولنديين . ولما مات الملك إسكندر ، خلفته ابنته على العرش ، وواصلت الجهاد ضد الأجانب ، والأعمال الإصلاحية فى الداخل ، فنعم شعبها بالسعادة والسلام .

وجلست بعدها على عرش « أجيه » الملكة « عنايت زكية الدين » فنسجت على منوالها . . .

وخلفتها على العرش ذاته امرأة أيضاً ، هى الملكة « كمالات شاه » ولكن حركة معارضة قامت ضدها ، فاضطرت إلى التنازل عن العرش لرجل ملك بعدها .

وهذا يشبه ما حدث فى هولندا نفسها — التى حكمت هندونيسيا ثلاثة قرون ونصف — والتى تبوأت عرشها نساء ! . .

وفى جاوى يذكرون ملكة صينية الأصل اعتنقت الإسلام بعد زواجها من ملك « ماجافانت » ووقفت حياتها على الأعمال الإنسانية ، وتحسين حالة الرعية ، ونشر الفضائل وقطع دابر الفساد .

وفى كل جزيرة وكل مملكة وكل إمارة ، أثر لعمل جليل قامت به امرأة ، ملكة ، أو أميرة ، أو من بنات الشعب ، فى أحد ميادين النشاط والكفاح .

وما ذكرناه هنا من أسماء : للرجال أو للنساء ، للأبطال أو للبطلات ، قليل من كثير . فالذين ثاروا من أجل الحرية فى

هندونيسيا من الرجال لا يعدون ولا يحصون . ومثلهم اللواتى ثرن من أجل الحرية بين النساء . . .

إن تاريخ هذا الشعب الشرقى المسلم المجاهد لا يزال مجهول النواحى فى البلدان الأخرى ، وعلى الخصوص فى البلدان العربية التى تربطه بهندونيسيا وشائج كثيرة . . .

وهذا تقصير من الناحيتين : من الناحية العربية ، ومن الناحية الهندونيسية !

الشعب الطيب . . .

جلست فى شرفة الفندق ، المطلة على الشارع ، وجعلت أنظر بإمعان إلى المارة . . .

تحدثت إلى بعضهم . . . وسألت ، وراقبت ، وتناولت ورقة ، ودونت فيها هذه المشاهدات والخواطر ، بلا ترتيب ، ولا تنسيق ، ولا تنميق :

الشارع فى المدينة الهندونيسية هادئ ، صامت تقريباً ، بعيد كل البعد عن الشوارع الصاخبة فى معظم مدن العالم . . .

الضوضاء خافتة ، إذا صح هذا التعبير . ويخيل إليك أن الهندونيسى يتكلم مع الهندونيسى همساً . . .

الشبان والبنات يخرجون معاً فى الشوارع بروح رياضية طبيعية ، لا تثير نقداً ، ولا تترك مجالاً للتشكك : إنهم - الشبان والبنات - يعرفون معنى الصداقة البريئة ، معنى النظرات التى لا تنطوى على خداع ، والكلمات التى ليس لها أكثر من معنى واحد . . .

قد يكون هذا الطقس ، هذا المناخ ، هذا الجو ، هذه السماء التى تمطر الآن لكى تترك المجال لأشعة الشمس بعد دقيقتين ، قد يكون كل ذلك هو السبب ، هو الأساس فى أن الهندونيسيين هم كما نراهم فى هذا الشارع ، وفى المقاهى والمجالس . . .

حتى مظاهراتهم الوطنية تجرى هادئة ، وهتافاتهم خافتة !. ولكنهم عند ما يثورون حقا ، فإنهم يذهبون إلى القتال بشجاعة وإقدام .

من خصائل الهندونيسى أنه يعتقد ، ويؤمن ، بأن الله أعطى الإنسان فماً وشفتين وأسنان لكى يضحك ، أو على الأقل لكى يبتسم ، لا لكى يعض ويكشر ! . . . فالهندونيسى يبتسم ، أو يضحك ، مهما يكن الحديث الدائر بينك وبينه . وإذا غضب ، فإنه يعجز عن إظهار غضبه بالحركات العنيفة ، والتعبير عنها بالشتائم ، وذلك لسبب بسيط : فإن لغته لا يوجد

فيها شتائم . . . ولا يوجد فيها فعل أمر ! . .

إنه مثل الإنجليزى : ينهى دائماً حديثه معك بما يشبه التعبير البريطانى المشهور : « وأنا لك العبد المطيع ! » ولكن الإنجليزى يقول هذا عن خبث ، ورياء ، وكذب ، ونفاق . أما الهندونيسى فإنه يقول لك ما يشبه هذا ولكن عن صفاء نية وعن صدق و إخلاص .

الرجال يلبسون البنطلون ، أو الشورت ، أو « الوزرة » الوطنية وهى عبارة عن قطعة من القماش يلفون بها النصف الأسفل من الجسم : إن منظر الهندونيسيين وهم يسيرون فى الشوارع لا يثير تقززاً ولا اشمئزازاً حتى ولو كان السائرون من أفقر الطبقات .

إن الهندونيسى لا يسرع فى مشيته . ولا يخالف النظام إلا نادراً . يخضع للقوانين واللوائح . إنه مهذب . وتهذيبه ليس من تلقين المدرسة ، بل مكتسب بالفطرة ، بالتربية .

فى هندونيسيا ، لا يطبقون نظام التفريق بين الجنسين ، لا فى المدارس ، ولا فى أى مكان آخر . فالاختلاط بينهما لا تحده قيود . والرجل يحترم المرأة احتراماً قد يبدو فى بعض الأحيان على جانب من المبالغة .

فى هندونيسيا ، كلمة « نعم » معناها حقا « نعم » كلمة « لا » معناها حقا « لا » .

المرأة تشتغل مثل الرجل ، إذا توفر لها العمل ، بدون أن يؤدى هذا إلى مشاحنات ومجادلات . وفى المكان الذى تشتغل فيه ، تحترم كما يحترم الرجل .

الطلاق ميسور . والزواج ميسور . ولهذا ، فإن المشاكل الناتجة عن الزواج والطلاق ، قليلة ، أو غير معقدة .

يكفى أن تتبادل مع الهندونيسى التحية مرة واحدة ، حتى يبادر هو بتحيتك كلما وقع نظره عليك . وإذا كنت بعيداً عنه ، فإنه يقترب خصيصاً لكى يحييك ، وإن كنت لا تراه ، فإنه يناديك . . .

العمل فى دواوين الحكومة ينتهى فى الساعة الثانية . وفى أيام الجمعة ينتهى فى الحادية عشرة والنصف ، ليذهب الناس إلى الصلاة . ويوم السبت يشتغلون حتى الواحدة . ويوم العطلة الأسبوعية هو يوم الأحد .

مياه وأشجار وأثمار

مياه متدفقة من كل ناحية وصوب ، تنفجر عيوناً من بطن الأرض ، أو تجرى أنهاراً فى الوديان ، أو تتساقط شلالات من أعالى الجبال ، أو تمتد فى بحيرات منبسطة فى السهول . . .

وأشجار مختلفة الأحجام والأشكال ، رابضة على الأرض ، أو ناشرة أغصانها الواسعة فى الفضاء ، أو مرسلة رأسها كالسهم ينطح الأجواء . . .

وأثمار تتدلى من الأغصان ، أو تلتصق بالجذوع ، أو تتمدد على الأرض مفترشة التراب . . .

وطيور تغرد ، وقرود تتصايح وتقفز ، وهدير يسمع من بعيد فيقول لك سائق السيارة أو الصديق الهندونيسى الذى يرافقك ، إنه صوت بركان هائج ، أو صراخ وحش مفترس يطارد حيواناً وديعاً . . .

هذا ما يقع عليه نظرك ، وهذا ما يطرق سمعك ، وأنت تجتاز الطريق من جاكرتا إلى باندونج ، ومن باندونج إلى جاكرتا ، خلال الغابات التى لا أول لها ولا آخر ،

بل هذا ما تراه وتسمعه وأنت تجتاز أى طريق فى الجزر الخضراء فى أية ساعة من ساعات النهار . . .

لأن السير فى وسط الغابات الهندونيسية ليلاً أمر فيه نظر ، ويحسن بالمسافر أن يتجنبه ويتحاشاه ، حتى لو كان داخل سيارة محكمة الإقفال . . .

فالخوف عليه كبير ، من تقلبات الجو ، ومن الحيوانات الضارية ، ومن بقايا العناصر التى عاثت فى البلاد فساداً ، فى وقت من الأوقات ، ولم يتم بعد تطهير الأقاليم منها .

والرحلة بالسيارة خلال غابات جاوى ، من أمتع الرحلات التى يمكن أن يحلم بها مسافر !

بين جاكرتا وباندونج سحر كامن إلى جانبى الطريق ، يبهر ويسكر . . .

على ارتفاع ٢٦٥ متراً عن سطح البحر ، تمتد « حديقة النبات » فى المكان الذى سماه الهولنديون « بويتنزورج » منذ أن أنشأوا فيه تلك الحديقة ، التى تعد بلا شك أغنى وأحسن حدائق « النبات » فى العالم ، باعتراف الأجانب جميعاً . وهى من مخلفات العهد البائد فى هندونيسيا ، ومن أثمن ما تركه الهولنديون فى الجزر الخضراء .

تقع حديقة بويتنزورج عند ملتقى نهرى تجى ليونج

وتجى دانى . وقد غرس فيها العلماء الإخصائيون الذين تولوا أمرها جميع أنواع الشجر والنبات للمناطق التى تشبه بجوها منطقة جاوى ، ويعرف المكان اليوم باسم « بوغور » وفيه قصر أبيض بديع الهندسة والشكل والبناء ، فاخر الرياش ، حوله بحيرة صافية ، جعل مقراً لرئيس الجمهورية فى بعض أيام السنة .

وكان هذا القصر ، مثل قصر الرياسة فى جاكرتا ، مقراً للحاكم الهولندى من قبل ، وعلى مقربة من القصر ، ضريح يقال إن سيدة لعبت دوراً فى تاريخ جاوى مدفونة فيه .

وحديقة النبات هذه أصبحت ملتقى العلماء الذين يقصدونها من جميع أنحاء العالم للدراسة والاختبار ، ويقصدها الطلبة للمطالعة فى جو هادئ ، وطلاب النزهة للترويح عن النفس ، والعشاق لتبادل آيات الغزل ، وهى تقع على بعد ساعة بالسيارة من جاكرتا .

وحول الحديقة المترامية الأطراف ، بيوت وحوانيت ومطاعم . وبائعون يعرضون على المارة وعلى المسافرين طائفة منوعة من الأشغال اليدوية ، والتحف ، والصور ، والتماثيل ، والعقود ، والخواتم ، والأساور ، والأقراط ، وأدوات غريبة عجيبة ، تدل على ما امتاز به الهندونيسيون من مهارة فى الصناعات اليدوية .

وعلى مسافة من حديقة النبات ، حديقة أخرى للحيوان .

ولكنها فقيرة بما فيها من حيوانات ، بالنسبة إلى ما يوجد منها فى هندونيسيا . والحيوانات فى هذه الحديقة طليقة ترتع بين أشجارها بحرية تامة ، لأنه ليس بينها وحوش مفترسة .

وكانت هذه الحديقة غنية مزدهرة ، قبل الحرب العالمية الأخيرة . ولكن اليابانيين ، فى أثناء احتلالهم لهندونيسيا بعد طرد الهولنديين منها ، أعدموا الحيوانات التى كانت فى الحديقة توفيراً لثمن طعامها ونفقات العناية بها وصيانتها .

ولم ترجع الحديقة بعد إلى سابق عهدها .

وإلى جوانب الطرقات ، خارج المدن ، غابات وبساتين وأزهار . . . أشجار « الكاوتشوك » المطاط ، التى تمتد غاباتها على مسافات شاسعة ، والتى كان الهولنديون يحتكرون استثمارها ، وجنى الفوائد منها ، ويستأثرون بذلك لأنفسهم ، فلا يلحق الهندونيسيين من مطاطهم وما يدره من أرباح خيالية ، غير الأجور الحقيرة التى كان العمال والعاملات يتقاضونها من المحتكرين ، للاشتغال فى تلك الغابات . . .

وأشجار النارجيل ، أو جوز الهند ، التى تشبه النخيل بشكلها وارتفاعها وطريقة قطف أثمارها . وهى أيضاً من أعمدة الثروة الزراعية فى هندونيسيا . يعتمد عليها الفلاحون كما يعتمد فلاحو مصر على النخيل .

وكثيراً ما تقطف أشجار النارجيل قبل أن تنضج لشرب ما تضمه الثمرة من سائل لذيذ ، وأكل الثمرة نفسها أو إلقائها إلى الحيوانات .

وأشجار الشاى ، وهى من الكثرة بحيث إنها تغطى السفوح من أسفلها إلى أعلاها ، فى بعض الأماكن ، وليس على الناس إلا أن يقطفوا ثمارها بدون أن يولوها فى خلال السنة أية عناية .

وأشجار المانجو : ففى هندونيسيا ٢٥ نوعاً من أنواع المانجو وتتفاوت أحجام الثمرة تفاوتاً كبيراً ، بين أصغر حجم وأكبره .

وذقنا فى جاكرتا وباندونج بضعة أنواع من العنب والبرتقال واليوسفى . . . ونبات سيجون ، وهو يشبه الشاى ، ويقبل سكان هندونيسيا على تعاطيه مثل الشاى تماماً ، وهو لذيذ الطعم كثير الفائدة .

وأشجار فاكهة تدعى « زيرو » تشبه البرتقال ولكنها أكبر منه حجماً بكثير وأقل لذة فى طعمها . ولا يقدم هذه الثمرة بكاملها على المائدة ، بل مقطعة شرائح لكى تؤخذ منها شريحة أو أكثر .

والنانكا التى تزن ثمرتها أحياناً نحو ثلاثين كيلو . . . أقول ثلاثين كيلو ولا أبالغ . وهى شديدة الحلاوة ، أصلها من أفريقيا على ما يقال ، واسمها فى بعض البلدان « فناس » .

والتمر الهندى ، والباباز ، والأناناس ، وعشرات أخرى من الأشجار الكبيرة والصغيرة ، المتعددة الأشكال والأحجام ، المختلفة الأثمار . . . ولكنها أثمار ، على ما اتضح لى ولرفاقى ، لا تجارى أثمار المناطق المعتدلة بطعمها وحلاوتها . . .

فالمانجو والبرتقال واليوسفى والعنب والبطيخ على أنواعه ، وغيرها من الأثمار التى يوجد لها مثيل فى المنطقتين ، ألذ طعماً وأوفر حلاوة فى الشرق العربى مثلاً منها فى جزر هندونيسيا ، وإن كانت أصغر حجماً !

وتلك الشجرة العجيبة المسماة « أوبيكا » إنها صغيرة ، تنساب على الأرض تقريباً . تشبه ثمرتها البطاطس . تزرع بسهولة . وتنمو بسهولة من تلقاء نفسها ، بدون أن يبذل لها زارعها أى عناء ، وأى عناية . وإذا زرعها الفلاح أمام باب كوخه ، فإنها تضمن له بعض الخير وتوفر عليه بعض التعب فى السعى وراء العيش . لأنها تعطيه ثمراً يأكله ، ويطبخه ، ويجففه ليصنع منه دقيقاً . ومن أوراقها وعيدانها يصنع أشياء كثيرة . وإذا بقى منها شىء فإنه يلقيه طعاماً للحيوان ، أو يستعمله لتغطية سقف الكوخ ! إن الأوبيكا مثل قصب السكر الذى ينبت أيضاً بكثرة فى هندونيسيا . ومثل البطيخ الذى يؤكل لبه ، وبذره ، ويلقى قشره للحيوان . ومن البطيخ أنواع كثيرة فى هندونيسيا ،

ولكنها غير بطيخنا العربى .

والقرية الهندونيسية فقيرة لأن الهولنديين أرادوا ، وتعمدوا أن يتركوها فقيرة ، بالرغم من الخيرات التى تكتنفها من كل صوب ومن التربة الخصبة التى تقوم عليها الأكواخ . . .

والفلاح الهندونيسى الفقير ، مضياف للغاية . وفيه من هذه الناحية شىء من الفلاح العربى . إذا زرته فجأة فإنه يستقبلك ضاحكاً مرحباً . ويقطف لك الثمر من حديقته ، وفى معظم الأحيان يتسلق شجرة النارجيل ليأتيك بثمرة منها ، يفتحها أمامك بمهارة ، ويقدم لك ما فى جوفها من ماء لذيذ .

وفى كوخه ، تجد العناية الفائقة . إنه فقير ولكنه نظيف ، أو يحاول مجتهداً أن يكون نظيفاً . والماء متوفر لديه ، من الساقية ، أو الترعة ، أو البئر . . .

فالماء كثير غزير فى جميع أنحاء الجزر الخضراء ، ولكن الماء الصالح للشرب فى المدن قليل شحيح . فالهولنديون لم يسعوا — خلال القرون الثلاثة التى قضوها فى هندونيسيا — لتوفير المياه العذبة الصالحة للشرب لسكان المستعمرة التى درت عليهم الخيرات والثروات . بل اكتفوا بتنفيذ مشروعات ترمى من هذا القبيل إلى سد حاجتهم هم ، دون سواهم ، وحاجة الأجانب الذين وفدوا

على البلاد فى أثناء حكمهم . وهكذا ، بعد أن رحل الهولنديون عن هندونيسيا ، وجدت الحكومة الوطنية أمامها مشكلة توفير المياه العذبة الصالحة للشرب ، باقية كما كانت .

والغريب الذى يمر بجاوى ، يجد للماء الذى يشربه طعماً خاصًّا ، وذلك بسبب تسرب المياه فى بطن الأرض وسيرها فى مجرى يمر أحياناً تحت غابات المطاط أو غيرها .

والغريب الذى يغتسل بالماء فى جاكرتا أو باندونج ، يخيل إليه أن هذا السائل الذى يلقيه على نفسه بواسطة «الكوز» من حوض حجرى ، أثقل من الماء العادى فى المناطق المعتدلة . وهذه الظاهرة الغريبة تترك بعد الاغتسال شعوراً بأن الجسم لم يجف بعد ، بالرغم من استعمال المناشف .

وهذه الأزهار . ما أكثرها . وما أوفر أنواعها ، وما أزهى ألوانها . إنها تغطى جوانب الطرق . وتتناثر بين جذوع الأشجار وتعطر الجو فى كل مكان . وبعضها يعد فى البلدان الأخرى من أثمن أنواع الزهر ، مثل « التوليب » مثلاً الذى نقل إلى هندونيسيا من موطنه بهولندا ، فنبت ، واستوطن ، وانتشر فى الحقول ، فى البساتين ، فى الغابات ، فى الميادين ، فى البيوت : أزهار ضاحكة فائحة العطر فى كل أيام السنة ، لا يضايقها المطر ، ولا تضايقها أشعة الشمس ، وكأنها تدعو المارة ، رجالا

ونساء ، لكى يمدوا إليها الأيدى ، ويقطفوها ، لسيتنشق عبيرها الرجال ، وتزين بها شعورهن الحسان !

المائدة الهندونيسية

أرز . . . أرز وبطاطس . . . أرز ... بطاطس وأرز ... لا بد من الاثنين على المائدة ، على كل مائدة ، مائدة الغنى ومائدة الفقير ، فى البيت ، فى الفندق ، فى المطعم ، فى الأيام العادية ، فى أيام الأعياد ، فى أيام الخير وأيام البؤس على السواء فالأرز عماد المائدة الهندونيسية ، والعمود الفقرى لكل وجبة ، واللون الذى لا يتصور الهندونيسى أنه يمكن اختفاؤه عن مائدته ، مهما تكن الظروف والأحوال ، وهو يصنع فى هندونيسيا ويعد بطريقة واحدة لاتتغير : يسلق بالماء ، بدون ملح ، ولاسمن ، ولاأى نوع من أنواع التوابل ، ويقدم هكذا ، على طبق عميق ، فيبدو كأنه كومة من القطن المنتوف .

ومع الأرز ، أو على الأصح فوق هذا الطبق من الأرز ، توضع الألوان الأخرى ، المعدة خصيصاً لكى تؤكل مع الأرز ، ومخلوطة به : قطع من اللحم المسلوق ، وقطع أخرى من السمك المسلوق أيضاً ، وشرائح من الموز ، وقضبان صغيرة شبكت

فيها قطع من اللحم المشوى كالكباب ، ومع هذا كله مجموعة من التوابل ، والكارى ، والفلافل ، والبصل ، والثوم . . .

ويؤكل كل هذا بالملعقة دون سواها . ويوضع على المائدة ألوان أخرى مصنوعة من الموز المقلى، والسلطات ، والخضار . . .

ولا يوضع على المائدة خبز ، ولا ملح ، ولاسكر . . . فشرائح السمك أو الموز تحل محل الخبز . والملح لا يستعمل . والسكر يصدر إلى الخارج ولا يستهلك منه فى الداخل غير القليل .

وتوضع الفواكه على المائدة بكثرة . فهى متوفرة فى كل مكان ، ولكل إنسان ، بل إن بعضها فى متناول الناس إلى جانبى الطرقات ، بلا مقابل .

واللبن لا يستهلك إلا بمقدار تافه . والجبن أيضاً . وقد قيل لى ، إن الهولنديين كانوا يصدرون الألبان إلى بلادهم لكى يصنعوا منها الجبن الهولندى المشهور . وقد أقنعوا الهندونيسيين ، منذ بدء استعمارهم للبلاد ، بأن الألبان مضرة للصحة ، لكى يحولوا دون استهلاكها ، وتتوفر لهم لتصديرها .

والتوابل هى المنتجات الوحيدة ، مع الأرز والفاكهة ، التى يأكلها الهندونيسى بكمية وافرة . ومما يجدر ذكره هنا ، أن التوابل كانت من الدوافع التى دعت الغربيين إلى اقتحام البحار واستعمار الشرق ، فى وقت لم يكن فيه سكان أوربا يعرفون البهار ،

والقرفة ، والفلفل ، والكباب الصينى ، والزنجبيل ، وغير ذلك مما يكسب الطعام لذة خاصة حتى الملح كان الغربيون يجهلونه فى ذلك الوقت !

وفى بعض أنحاء الجزر الخضراء ، يعيش السكان على الفاكهة والخضار . . .

ومن أغرب ما يروى ، أن الهولنديين كانوا يصدرون الحليب السائل إلى بلادهم ، ويعيدونه إلى هندونيسيا جبناً ، أو حليباً محفوظاً فى علب ، أو مجففاً ! . . .

والزبدة المستعملة فى هندونيسيا صناعية ، مستخرجة من النارجيل أو جوز الهند ، وذلك فى بلد تكثر فيه المواشى وتمتد المراعى على مسافات لا نهاية لها .

والفواكه تطبخ مثل الخضار ، كالفاصوليا والفول والحمص .

وتصنع أنواع من الحلوى يدخل فيها الأرز أيضاً مخلوطاً بالفاكهة والعسل .

كل ذلك تتغلب عليه لذعة التوابل فتترك فى الفم مفعولاً أشبه بمفعول الجمر الحارق . ومن هذه الناحية يوجد شبه كبير بين الطعام الهندى والطعام الهندونيسى . ولا يبقى للغريب الذين يتناول وجبة هندونيسية غير الالتجاء إلى الفواكه العديدة المنوعة ، ليخفف بها تلك الحرقة اللاذعة !

من البقرة إلى السيارة

ما هى الوسائل التى يستخدمها الهندونيسيون للانتقال من مكان إلى مكان ، فى داخل المدن ، وفى الحقول ، ومن بلدة إلى أخرى ؟

كانوا فى قديم الزمان يتنقلون فى مركبات تجرها الثيران ، كما كان يفعل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية ، وشعوب أسيوية وأمريكية أخرى ، إذ تكن فيه الخيل قد عرفت فى معظم البلدان .

ولا تزال المركبات التى تجرها الثيران شائعة فى الأقاليم ، بل فى بعض المدن الهندونيسية . خصوصاً عند الفلاحين والقرويين .

ولا توجد حيوانات تصلح للركوب أو لجر العربات فى هندونيسيا ، غير عدد قليل من الخيل ، وهى من النوع الصغير الحجم المعروف بالسيسى . أما الجمال والحمير فلا توجد نماذج منها إلا فى حديقة الحيوان! وإذا أضفنا السيارة والقطار إلى المركبة التى تجرها الثيران ، نكون قد جمعنا بين أقدم وسائل الانتقال وأحدثها ، وهى التى يستخدمها الآن الهندونيسيون فى بلادهم . . .

بقيت الوسيلة الأخرى التى انتشرت انتشاراً عجيباً وأصبحت بعد بضعة أعوام من دخولها إلى هندونيسيا من مستلزمات الحياة

فيها ، ومن أطرف ما تقع عليه العين فى شوارع المدن وساحاتها : وهى « الدراجة » أو « البسكليت » . جاء بها الهولنديون من بلادهم . وهولندا مشهورة بأنها بلد الدراجات وأن سكانها أكثر شعوب الأرض استعمالا لها . ففى هولندا يوجد أكبر عدد فى العالم – نسبيا – من الدراجات وراكبى الدراجات .

فلا غرابة فى أن يجىء الهولنديون إذن بالدراجة إلى هندونيسيا ، ولا غرابة أيضاً فى أن يقبل الهندونيسيون على استعمالها إقبال الهولنديين عليه . فهى خفيفة ، صغيرة ، سهلة ، رخيصة نسبيا ، فضلاً عن أنه ليس فى متناول الأيدى وسيلة غيرها من وسائل الانتقال . فشوارع المدن الهندونيسية تغص دائماً بعدد لا حصر له من تلك الدراجات التى يسرع عليها الناس إلى أعمالهم أو عائدين منها أو قاصدين إلى الضواحى للنزهة.

وإذا ذهبت أنت أيضاً للنزهة فى إحدى تلك الضواحى ، وهممت بدخول حديقة عامة ، أو مطعم أو مقهى ، فإنك تجدها على الباب ، مرصوصة إلى الحائط ، أو ملقاة على الأرض ، عشرات ، بل مئات من الدراجات ، تنتظر عودة أصحابها .

ولم تقع عينى على مثل هذه الكثرة من الدراجات فى الشوارع ، إلا فى هولندا ، أو ما يقرب من ذلك فى مدينة الدار البيضاء بالمغرب ، وفى بعض مدن بلجيكا ، والدانمارك .



لا تزال المركبات التي تجرها الثيران شائعة في الأقاليم

وتجارة الدراجات رائجة جداً . بل هى أروج أنواع التجارة . والدراجة رخيصة نسبيا . فالهولنديون يأخذون المطاط من هندونيسيا ، ليصنعوا منه العجلات . . .

وقد تطور استخدام الدراجة إلى استخدام نوع من المركبات الصغيرة التى تشبهها ، والتى جاء بها الصينيون إلى هندونيسيا : تلك هى المعروفة باسم « بوتشا » أو « ريكتا » وكلمة بوتشا تحريف لكلمة « بوس بوس » أى « ادفع ادفع » وهو الاسم الذى تعرف به هذه المركبة ، أو الدراجة المزدوجة ، فى الصين . والصين الهندية التى يسمونها خطأ الهند الصينية .

والبوتشا مكونة من مقعد لشخص أو أكثر ، قائم على ثلاث عجلات ، يعلوه غطاء من القماش ، وخلفه مقعد صغير يجلس عليه سائق البوتشا ليدفع العجلات بقدميه الحافيتين ، تماماً كما يفعل راكب « البسكليت » .

جاء الصينيون بهذه البوتشا ، وبدأوا يستخدمونها فى شوارع جاكرتا فى بادىء الأمر ، ثم عمموها فى مدن أخرى . وكان سائق البوتشا ، فى بدء عهدها ، يجرها من الأمام كأنه حمار مشدود إليها . ثم صار يدفعها من الخلف دفعاً بيديه ، ويجرى معها على قدميه . ولكن الصينيين المقيمين فى جاكرتا اعترضوا على استخدام البوتشا بهذه الطريقة ، قائلين إن هذا

محط بكرامة الإنسان الذى يجر البوتشا أو يدفعها أمامه . فعملوا على تحويلها من مركبة ذات عجلتين فقط ، إلى مركبة ذات ثلاث عجلات ، يجلس سائقها كما قلت على مقعد أعد خصيصاً لهذا الغرض خلف مقعد الراكب ، ويحرك العجلات الثلاث بقدميه ، بواسطة سلسلة حديدية . وهذه البوتشا أو الريكتا مستعملة فى هندونيسيا منذ بضعة أعوام فقط ، أى أنها دخلت البلاد من الصين بعد الحرب العالمية الأخيرة ، وفى عهد الحكم الوطنى .

وسائقو البوتشا يعانون بلا شك تعباً كبيراً ومشقة مضنية فى دفع دراجاتهم إلى الأمام ، تحت الشمس أو تحت المطر ، لنقل الناس من مكان إلى مكان . ومعظمهم على ما يقال مصابون بأمراض فى القدم أو الفخذ ، تنتاب الأعصاب والعروق ومجرى الدم . وهم خفيفو الحركة ، سريعو الجرى ، يصطادون الركاب أمام الأبواب أو فى ملتقى الطرقات والشوارع .

الفنون الجميلة

الفنون الجميلة — جميع الفنون الجميلة — عريقة متأصلة فى نفوس الهندونيسيين من قديم الزمان ، منذ العصور التى كانت فيها البلاد كلها ، بجميع ما فيها من جزر خضراء ، تعيش

فى كنف الطبيعة ، وبين أحضان الوثنية ، يؤمن أهلها بالخرافات ، ويستسلمون لأهواء الآلهة التى يقدمون لها القرابين ، ويرقصون ويغنون ويرتلون لاسترضائها . . .

كانت الأساطير فى ذلك الزمن البعيد تملأ حياة سكان الجزر وتملى عليهم معتقداتهم وترسم لهم سبل السير والعمل . ولم تتمكن الأديان التى توالى انتشارها بين السكان على كر الأجيال ، أن تنتزع من نفوسهم آثار تلك الأساطير التى تغلغلت فيها حتى الأعماق ، لا البوذية ، ولا البرهمانية ، ولا المسيحية ، ولا الإسلام .

ولما كان الهندونيسيون مجبولين بالفطرة على حب الفن فى جميع أنواعه ومختلف مظاهره ، فقد تشبعت نفوسهم بما توارثوه من قديم الزمان ، جيلاً عن جيل ، من فن اختلط بالأساطير وامتزج بالخرافات وانطبع بطابع الوثنية .

وبقى حب الفن هذا راسخاً فى نفوسهم ، وحافظوا عليه خلال التقلبات المتوالية التى شاهدتها جزرهم الخضراء ، وصانوا ذلك التراث الغالى من العبث والاضمحلال ، وهو اليوم مزدهر فى الجزر كلها كما كان مزدهراً بالأمس ، يرتاح إليه الهندونيسى ويمارسه الآن كما كان يرتاح إليه أجداده ويمارسونه فى الماضى !



للراقصات الهندونيسيات شهرة عالمية فى الرقص الدينى

الرقص :

الرقص الهندونيسى يشبه ، من بعض الوجوه ، الرقص الهندى والسيلانى . وله قواعد وأصول ترجع إلى العصور الماضية ، جامدة لا تتغير ، فى خطوطها الرئيسية، وإن كان الفنانون والفنانات يدخلون عليها من وقت إلى آخر حركات جديدة ، أو تعبيرات مبتكرة ، تزيدها بهجة فى نظر المشاهدين بدون أن تؤثر فى كنهها ومعناها .

هناك الرقص القومى الذى يمارسه الناس فى أعيادهم ومواسمهم أو فلنسمه الرقص الشعبي الذى يجيده الرجال والنساء والأطفال بوجه عام . وهذا لا يدخل فى نطاق الرقص الخاضع لقوانين وقواعد متوارثة ، كالتى سبقت الإشارة إليها .

لنأخذ مثلا رقصة يشترك فيها راقصون وراقصات ، وتمثل أسطورة « أرجونا ويواها » وتتلخص فى كفاح الإنسان لتحقيق أمانيه فى الحياة ، فتعترضه الروح الشريرة ، وتصارعه ويصارعها ، حتى يتغلب عليها . ومغزى هذه الرقصة أن الإنسان قادر على الفوز بما يريد ، إذا عرف كيف يستخدم دهاءه وذكاءه لهذا الغرض ، مهما يكن خصمه قويا جباراً .

وروح الكفاح هذه تبدو فى معظم الرقصات التى

يقدمها الفنانون الهندونيسيون فى المسارح والملاهى والمقاهى . وتمتزج روح الكفاح دائماً بالأمل فى بلوغ الهدف ، والرغبة فى جعل الحياة سعيدة هنيئة .

وإلى جانب الرقص المنطوى على إظهار الشجاعة والقوة والشهامة والبأس ، تعرض الرقصات المنطوية على مظاهر ومعانى دينية ، أو فلنقل إنها عبادة راقصة ، أو صلاة توقيعية ، تقوم بها الراقصات أمام الجمهور اليوم ، كما كانت تقوم بها من قبل فى داخل المعابد أو على أبوابها .

ومن أنواع الرقص التى يعجب بها الغريب فى هندونيسيا ذلك النوع الذى يمكن أن نسميه « القصة الراقصة » والذى تروى فيه الراقصة بحركاتها وسكناتها إحدى أقاصيص الغرام ، أو الانتقام ، أو التضحية ، الكثيرة فى تراث هندونيسيا الأدبى والفنى . وهذا النوع قريب من نوع « الأساطير الراقصة» أو هو فرع من فروعه العديدة .

ولكل من الجزر والأقاليم نوع خاص من الرقص والأنغام التى ترافقه والآلات الموسيقية التى تعزف عليها الأنغام ، وإن كان هناك ما هو عام شامل مشترك بين جميع الأقاليم والجزر . ولكن أشهر الراقصين والراقصات ، بل أروع ما يقدم من رقص دينى أو أسطورى أو تصويرى أو توقيعى ،

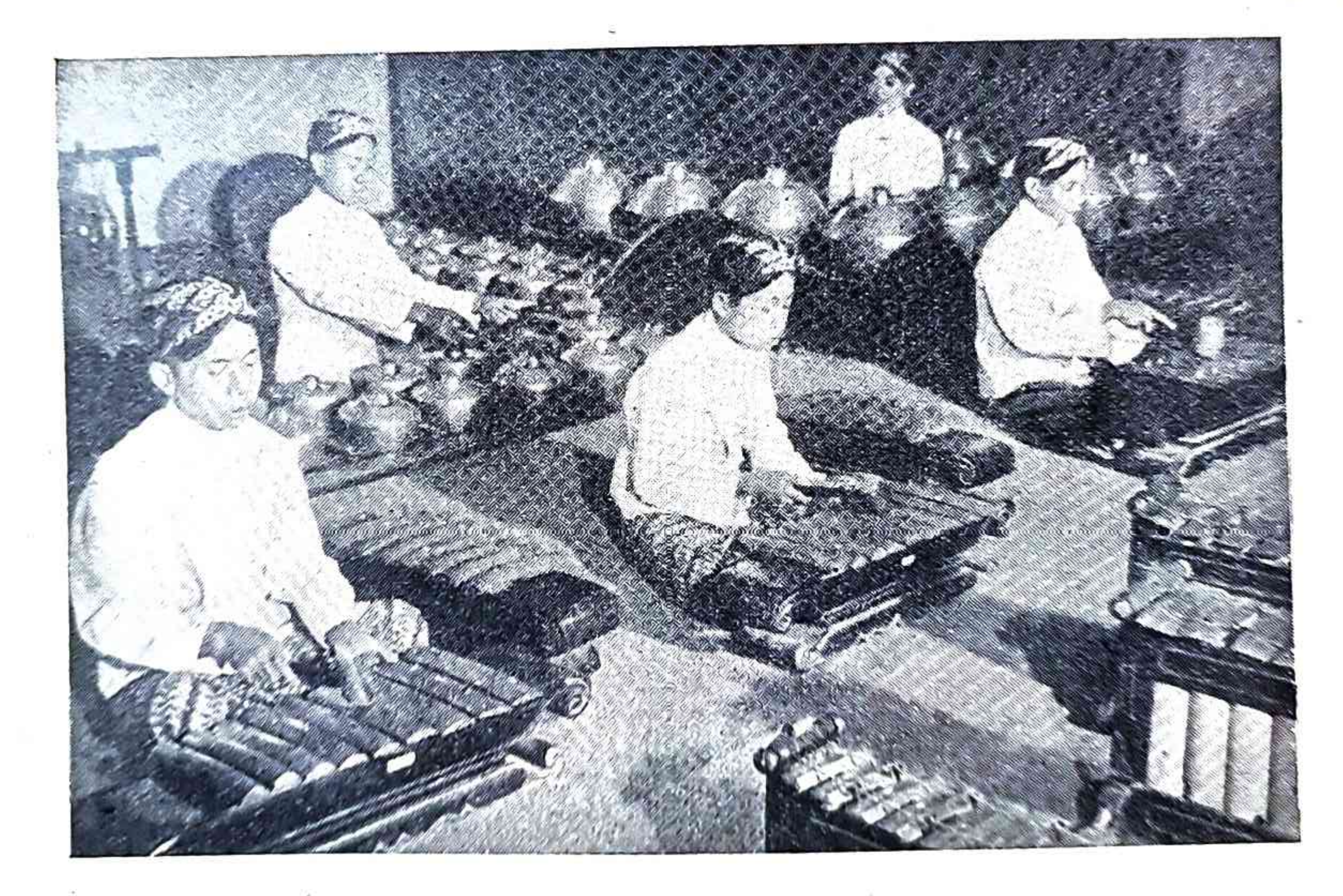
هو الخاص بجزيرتي جاوى وبالي .

ومن ألطف ما يشاهد فى هندونيسيا ، إقبال السيدات على الرقص القومى بالأزياء الوطنية ، فى المواسم والأعياد ، وعند ما يستقبل الرسميون الهندونيسيون ضيوفاً من الأجانب .

الموسيقى والغناء :

تقام حفلات الغناء فى هندونيسيا على أنغام « الأوركسترا » الوطنية ، وهى « تخت » يجلس المشتركون فيه على الأرض ، ويكوّن من آلات موسيقية لا شبيه لها فى الآلات الشائعة فى البلدان العربية .

للفن الهندونيسى تخته الخاص ، بكل ما يتألف منه التخت من آلات ، معظمها مصنوع من النحاس أو الخشب المجوف ، تنبعث منها رنات وأصوات قوية صارخة ، لا تستسيغها غير الأذن التى تألفها ، خصوصاً إذا كان السامع لا يفهم معنى الغناء الذى يطرق أذنيه ، ولا معنى الأنغام التى ترافق الغناء . ولعل الآلة الوحيدة التى لها ما يقرب منها شكلاً بين آلات التخت العربى ، هى الشبيهة بالدربكة ، ولكنها كبيرة الحجم بالنسبة إليها . وقلما يستخدم الهندونيسيون غير الآلات التى تقرع باليد .



التخت الهندونيسى : معظم آلاته مصنوعة من النحاس والخشب المجوف

والموسيقى ، مثل الرقص ، لا تزال متأثرة بالأنغام المتوارثة من قديم الزمان ، فهى فى الأصل وبادئ الأمر ألحان دينية من نوع التراتيل والتسابيح ، كانت تعزف فى الهياكل والمعابد ، وفى حلقات الصلاة فى العراء ، يوم كانت الوثنية سائدة شائعة فى هندونيسيا . وبقيت هذه الموسيقى كما هى أو أدخل عليها بعض التعديل ، فى خلال الأجيال التى تعاقبت على الجزر الخضراء ، فى عهد البوذية والبرهمانية ، ثم فى عهد المسيحية والإسلام .

وكما أن هناك الأساطير الراقصة ، أو الرقص الأسطورى ، والأقاصيص الراقصة ، فإن هناك أيضاً الأساطير والأقاصيص الملحنة ، تروى على السامعين بالغناء على أنغام التخت ، وفى معظم الأحيان ، يرتدى المغنون والعازفون — مثل الراقصين والراقصات — أزياء خاصة تساعد على توفير الجو الذى تكون القصة أو الأسطورة قد وقعت فيه .

فى المدارس :

ولكن هذا الذى قلناه عن الرقص والموسيقى والغناء ، لا يعنى أن هذه الأنواع من الفنون لا تمارس إلا بواسطة الفنانين ، وعلى المسارح وفى الملاهى . فإن المدارس فى هندونيسيا تهتم اهتماماً

خاصاً بالغناء والموسيقى والرقص ، وهى تدخل فى نطاق التمرينات الرياضية والفنية ، على غرار ما يجرى فى جميع مدارس العالم الآن ، وفاقاً لبرامج التعليم والتدريس الشائعة . والطلبة والطالبات فى هندونيسيا يقبلون على ممارسة الفنون الثلاثة — الرقص والغناء والموسيقى — إقبالاً ينم عن غريزة متأصلة فى نفوس هذا الشعب الوديع المرح ، منذ الصغر ، ومن قديم العصور .

ولهندونيسيا فرق فنية بدأت تقوم أخيراً برحلات إلى الخارج لعرض ألوان الرقص والغناء والموسيقى ، كما تفعل الهند وغيرها من البلدان الشرقية .

الرسم والحفر :

الهندونيسيين قدرة عجيبة فى رسم المناظر الطبيعية التى تمتاز بها بلادهم الخضراء ، بما فيها من غابات وأثمار وأزهار وأنهار وطيور وكل ما يمكن أن يفيد الرسام فى توزيع ألوانه على لوحته . والحكومة تهتم اهتماماً خاصاً بهذا الفرع من الفنون بالنظر إلى ما فيه من فائدة مادية وأدبية لمن يمارسونه وللبلاد بوجه عام .

وما يقال عن الرسم ، يقال أيضاً ، مضاعفاً ، عن فن الحفر وصنع التماثيل الخشبية . فإن للفنانين الهندونيسيين فى هذا المضمار براعة عجيبة . وأناملهم الساحرة تخرج من

الأخشاب الثمينة التى تعج بها غاباتهم تماثيل متفاوتة الأحجام والأشكال ، للآلهة الأقدمين ، وللأبطال الخالدين ، وللطيور والحيوانات على أنواعها ، ويقبل الأغراب على اقتناء هذه التحف الرائعة إقبالاً يشجع الفنانين على الإكثار من صنعها .

وأشهر صانعى التماثيل الخشبية فى جزيرة « بالى » العجيبة ، حيث آلهة الأمس تمد بوحيها فنانى اليوم ، فيخرجون من بين أناملهم ، بأدوات بدائية ووسائل بسيطة ، آيات من الصناعة اليدوية ، تعد فريدة فى نوعها وشكلها فى أنحاء العالم .

ملاحظات :

بالرغم من أن دين الأكثرية الهندونيسية الآن هو الإسلام ، وأن هناك أقلية مسيحية ، ولم يبق غير أقلية أخرى بوذية ، فإن الفنانين الذين يصنعون التماثيل والتحف الصغيرة والقطع المنوعة من الخشب أو العظم أو العاج أو الجلد ، لا يستوحون غير الماضى الوثنى البعيد ، ولا يصنعون شيئاً مما ينتسب إلى معتقداتهم الحالية .

— الهندونيسيون شعب معروف بقصر قامته ، خصوصاً نساؤه . ولكن الراقصات ، على ما يبدو ، يمتزن عن أخواتهن الأخريات بقامة أقصر أيضاً من قامتهن ، ونحافة تحسدهن عليها هاويات معاهد التجميل من حسان العالم ! ومعظم الفنانات

صغيرات السن ، أو هكذا يخيل للمشاهدين !

ــ فى هندونيسيا نوع من الفن الشعبى يشبه الأراجوز . وتصنع له دمى كبيرة الحجم أحياناً ، كريهة المنظر ، بشعة الشكل ، معدة لتخويف الناس لا للترفيه عنهم . وأحياناً تصنع الدمى صغيرة مهذبة الشكل والمنظر ، يفرح بها الكبار والصغار فى المقاهى وعلى قارعة الطريق . . .

ــ معظم الألحان الموسيقية فى هندونيسيا على وتيرة واحدة ، تذكر بما كانت عليه الموسيقى العربية فى وقت من الأوقات ، فى عهد الجمود والخمول . ولهذا ، فإن الألحان الهندونيسية لا تطرب إلا من يستسيغها ، أو يفهمها ، وشأنها من هذا القبيل كشأن كل موسيقى محلية ، خاصة ببلد معين ، لا يدرك معانيها ولا يطرب لها غير أهلها . بل إن الغريب قد تصل به الحال إلى المضايقة وتوتر الأعصاب ، إذا ما طال العزف وامتد ترديد اللحن على وتيرته الواحدة !

ــ الراقصون المتبارزون يستخدمون فى رقصهم ومبارزتهم سلاحاً يدعى « تنجات » وهو يشبه السيف القديم الذى كان يستعمل فى القرون الوسطى . وسلاحاً آخر كالمنجل ، بل هو فى الواقع منجل كبير مشدود إلى قبضة من الخشب يبلغ طولها نحو مترين أو أقل . وسلاحاً ثالثاً يدعى «دولك» وهو سيف شكله كالصليب .

– فى هندونيسيا صناعات يدوية كثيرة ، هى فى الواقع من أنواع الفن الدقيق ، كصناعة الأسلحة الصغيرة ، والآنية الخزفية ، والرسم على الأقمشة المنسوجة فى البلاد ، وتزيين جدران المنازل وأماكن العبادة والمحلات العامة ، وصناعة أدوات الشاى الجميلة التى يكثر الناس من اقتنائها لكثرة ما يستهلكون من هذا المشروب اللذيذ ، وصناعة الحلى من الخزف والخشب والحجارة النادرة ، وصناعة مختلف الأدوات المنزلية المعدة للزينة أو للاستعمال على السواء . فهذا الشعب الفنان بفطرته يطبع كل ما تمتد إليه يده بطابع تلك الروح الفنية العريقة .

السينما :

لا توجد فى هندونيسيا صناعة سينمائية . ولا تخرج البلاد أفلاماً خاصة بها ، وطنية أو محلية . وجميع ما ظهر من مناظر هندونيسية فى بعض الأفلام ، من صنع الأجانب ، وعلى الخصوص الأمريكيين .

ولكن دور السينما ليست قليلة فى العاصمة والمدن الكبرى . غير أن الرقابة على الأفلام شديدة قاسية . وهى لا تمزح . ولا تتساهل . ولا تعفو عن منظر واحد من المناظر الخليعة أو المخلة بالآداب من أى وجه من الوجوه ، ولا عن العبارات التى فيها شىء

من الإباحية . فمناظر الرقص مثلاً تراقب بعين ساهرة ويد صارمة وقد عرضت بعض الأفلام العربية من إنتاج مصر ، فحذفت منها مناظر الرقص الشرقى كلها ، حتى التى لم تجد فيها الرقابة ما يؤاخذ عليه فى البلدان الأخرى .

وفى هندونيسيا قانون سنته الحكومة الوطنية فى عهد الاستقلال يحرم على الفتيان والفتيات الذين دون السادسة عشرة أن يدخلوا دور السينما . وتعرض أحياناً أفلام خاصة لهؤلاء الأحداث يسمح لهم بمشاهدتها .

والأفلام الرائجة هى الأفلام الأمريكية . ومن وقت إلى آخر يعرض فيلم عربى ، ويكون قد انقضى على عرضه فى مصر بضعة أعوام . والإقبال عليه يكون ضعيفاً بالنظر إلى عدم فهم اللغة العربية . وفى وسع منتجى الأفلام فى مصر أن يعنوا عناية خاصة بالسوق الهندونيسى ، ويهتموا بتصدير الأفلام إليه بشروط طيبة ، خصوصاً الأفلام القومية والوطنية والحماسية .

بالى . . .

أعجب الجزر الهندونيسية ، وقد تكون أجملها ، جزيرة « بالى » ، وهى ليست كبيرة بحجمها ومساحتها وعدد سكانها .

ولكنها تحتل مكانة تحسدها عليها أكبر الجزر وأوسعها ، من الناحية التاريخية ومن الناحية الروحية ، ومن حيث المحافظة على التقاليد والمعتقدات القديمة .

تقع « بالى » إلى شرق جزيرة « جاوى » الكبيرة طولها ١٢٠ كيلومتراً . عرضها ٧٠ كيلومتراً . مساحتها ٥٥٧٥ كيلومتراً مربعاً . عدد سكانها أكثر من مليون ونصف بقليل . يفصلها عن جاوى مضيق يحمل اسمها : مضيق بالى . ويصر بعض المؤرخين والجغرافيين على تسميتها « جاوى الصغيرة » ويذهب بعضهم إلى وصفها بأنها « صقلية الشرق » لشدة الشبه من بعض الوجوه ، بينها وبين جزيرة صقلية الإيطالية ، بالبحر المتوسط ، خصوصاً من حيث الشكل وطبيعة الأرض .

إذا طفت فى جزر هندونيسيا كلها ، من طرفها الشرقى إلى طرفها الغربى ، وشاهدت كل ما تحويه من عجائب وغرائب خلف ثوبها الأخضر ، ولم تزر جزيرة « بالى » فإنك لم تعرف عن هندونيسيا كل ما يجب أن تعرفه ، بل إنك ضيعت رحلتك بترك هذه الثغرة فيها .

وإذا ذهبت إلى بالى ، بالطائرة أو بالباخرة ، فإنك تجد فيها العجب العجاب ، وأن عينك تقع فيها على ما لا يمكن أن تقع عين على مثله فى أى بلد من بلدان الدنيا .

إذا فتحت كتاباً عن هندونيسيا ، أو كتيباً مما توزعه دوائر الاستعلامات والدعاية فى جاكرتا على الزائرين ، فإنك تقرأ فيه فصلاً خاصا عن بالى ، وتعرف منه ما يلى عن هذه الجزيرة الجميلة :

من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، تمتد سلسلتان من الجبال البركانية ، المغطاة بثوب أخضر كثيف ، مثل غيرها من الجزر الهندونيسية . ولكن الغابات فى بالى تمتاز بأشجارها الباسقة ، والدوحات القديمة التى يقال إن عمرها يبلغ بضعة قرون ، وكثرة المعادن المخبأة فى جوف تلك الجبال الخضراء وفى أعماق وديانها : معادن عادية ، ومعادن ثمينة . وقد يكون فيها حجارة كريمة . ويؤكد المسؤولون فى جاكرتا ، أن السهول الممتدة حول جبال بالى ، وعلى طول سواحلها ، والتى تتخللها مستنقعات وغدران وحلية ، تحوى الذهب بكثرة . وأن الهولنديين وجدوه ، واستخرجوه ، ثم أخفوا أمره وكتموا سره ، وادخروه للمستقبل ، إذ أنهم لا يستثمرون من خيرات الجزر الخضراء غير النذر اليسير ، وفقاً لحاجاتهم ومقتضياتها . ويتركون الباقى فى حرز حريز ، كما يفعل أصحاب رؤوس الأموال بأموالهم ، فيودعونها المصارف ، ويسحبون منها دفعة بعد دفعة .

وبالى من جزر الهند الشرقية التى يفد عليها السائحون بكثرة

بل إن أفواجاً من هؤلاء السائحين تجيء أحياناً من الغرب ، أو من أمريكا ، أو من بلدان آسيا الجنوبية ، خصيصاً لزيارة بالى فهى من الأماكن التى تستحق أن يقصدها الناس من أقصى أنحاء العالم ، وهذا ما يفعلونه فى الواقع .

وشركات النقل تهتم بتوفير أسباب الراحة للسائحين ، وحكومة هندونيسيا الوطنية تولى الجزيرة عناية خاصة . وفى بالى الآن فنادق فخمة ، وبيوت رحبة ، وأماكن للراحة والاستجمام ، تتنافر طبعاً مع ما يوجد فى الجزيرة من هياكل ومعابد ونصب قديمة وتماثيل وآثار ترجع إلى العهود الماضية وحقبات التاريخ الغابرة .

فى هذه الجزيرة تقيم البقية الباقية من الهندونيسيين الذين لا يزالون محافظين على ديانتهم الأولى، ومعتقداتهم الأصيلة ويبدو جليا أن معظم سكان بالى من العنصر الهندى ، الذى لجأ إلى الجزيرة واحتمى بها ، فى خلال المدة التى بدأ فيها العرب يفدون على جاوى ، وينشرون فيها دينهم ، ولغتهم ، فى آن واحد مع تجارتهم .

ما هو ذلك الدين ؟ وما هى تلك العقائد ؟

إنها ليست البوذية . وليست البرهمانية . بل هى مزيج من الديانتين معاً ، تغلب عليه تعاليم « سيفا » الأقنوم الثالث من

الثالوث الهندى ، الذى يهدم ويبنى ، ويقتل ليحيي . وقد تم ذلك المزيج بين العقائد البوذية والبرهمانية خلال الأجيال المتعاقبة فانبعثت من ذلك كله ديانة يمكن أن نصفها بأنها قائمة بذاتها ، خصوصاً متى أدركنا أن مظاهر أخرى أدخلت عليها ، فى العصر الحاضر ، منذ أن اختلط سكان بالى ببقية مواطنيهم وبالأجانب من المسلمين والمسيحيين .

فى بالى هياكل باقية على ما كانت عليه منذ إنشائها . ومحتفظة فى الداخل والخارج بمظهرها وأثاثها وتماثيلها وأدوات الصلاة والعبادة فيها . إنها ، هى أيضاً ، مزيج من الفن المعمارى البوذي والبرهمانى ، مثل الدين الذى تجرى طقوسه بين جدرانها .

وكل يوم عند الفجر ، وعند الغروب ، تخرج فتيات بالى القائمات بخدمة كل هيكل من الأماكن التى يقمن فيها ، ويسرن فى صف طويل ، بثيابهن الزاهية وقامتهن القصيرة ، وخصورهن الضامرة ، وخطواتهن المتئدة ، نحو السلم المؤدى إلى مدخل المعبد ، وهو دائماً مرتفع عن سطح الأرض ببضعة أمتار وقد تتجاوز الأمتار المئة ، وعلى رؤوسهن السلال المصنوعة من القش الملون ، أو الخوص اللين ، وقد ملأنها بالأثمار المنوعة ، من كل لون ثمرة ، ومن كل نوع واحدة . . .

إنها القرابين... قرابين الشعب المتعبد ، المتمسك بآلهته تمسك

أجداده بها ، الباقى على وفائه للهيكل الذى كان أولئك الأجداد يؤدون فروض العبادة فيه ، والذى صلى الكهنة فى رحابه ، منذ أقدم العصور ، على المواليد عند ما رأوا النور ، وعلى الموتى عند ما انتزعت الآلهة ذلك النور من أعينهم .

الهيكل حيث كانت تقام المحارق ، فى الميدان الفسيح الذى يطل عليه بابه وتؤدى إليه سلالمه ، وتصعد إليها أرملة الميت ، راضية بمصيرها ، مستسلمة لحكم الدين ، الذى يقضى بأن تحرق الزوجة على أثر وفاة زوجها ، وأن يذر رمادها فى الأجواء .

عادة ورثها سكان بالى عن الهنود معتنقي الديانة البرهمانية ، وحملوها معهم إلى جزيرتهم ، وحافظوا عليها مدة طويلة من الزمن ، امتدت إلى بضعة أجيال ، ثم أقلع عنها الناس شيئاً فشيئاً ، ولم يبق منها اليوم غير الذكرى : فالزوجة تظل حية بعد وفاة زوجها ، والأرملة لم يعد مصيرها اللحاق ببعلها إلى العالم الآخر ، عن طريق المحرقة .

والقرابين التى تقدم اليوم إلى الآلهة ، من أهل بالى الأوفياء ، لا تتعدى منتجات الأرض ، محمولة فى سلال زاهية على رؤوس العذارى . . عذارى بالى حيث الجمال قد أفرغ فى تلك الوجوه النيرة أوفر ما فيه من صفات ومظاهر — فنساء بالى



القرابين من الأثمار تحملها الحسناء فى بالى إلى الآلهة فى هياكلها

على العموم يمتزن بجمال رائع قلما تقع العين على مثله فى أماكن أخرى من أنحاء العالم .

جمال لا تصنع فيه ولا مساحيق تبرز ناحية من نواحيه وتخدع العين الناظرة إليه .

جمال أغدقه الخالق بلا حساب ، فجعل الجزيرة وسكانها آية من آيات الإبداع بين البلدان وبين البشر .

وفى الوقت الذى كانت فيه الأرامل يصعدن إلى المحرقة راضيات بالموت للحاق بالزوج الراحل ، كانت المرأة فى بالى تسير عارية من كل ثوب ، أو تلف حول وسطها شريطاً ضيقاً من جدائل الأعشاب ، أو تربط حول ذلك الوسط الضامر أوراقاً خضراء من أشجار الجزيرة .

واليوم ، تسير المرأة فى بالى وليس على جسمها غير القليل من الثياب ، أو تسير شبه عارية ، تلف الجزء الأسفل من جسمها بقطعة من القماش الزاهى ، وتبرز الجزء الأعلى ، بصدره وكتفيه ، لأعين الناظرين ، وكأنها بذلك تسبح الخالق وتقدم للناس دليلاً على أن جزيرة بالى موطن الجمال فى طبيعتها الضاحكة ، وفى نسائها البديعات .

والفنون على أنواعها مزدهرة فى بالى ، تشارك جمال الطبيعة وجمال النساء فى أداء فروض العبادة للآلهة الأقدمين : فإن

صناعة التماثيل الخشبية والعاجية والعظمية فى بالى بلغت من الإتقان حدا يصعب معه على المرء أن يقتنع بأن أولئك الصناع الذين يخرجون من بين أناملهم تلك التماثيل العجيبة ، لا يستخدمون فى صنعها غير الأدوات البدائية ، ولا يعرفون الآلات التى اخترعها الغرب لصنع التماثيل بالجملة . . .

فن النحت ، وتحويل ألواح الخشب وعظام الحيوانات وغصون الأشجار وقطع العاج إلى تماثيل متفاوتة الأشكال والأحجام ، ورسم مناظر بالى الطبيعية ، وتزويق الهياكل من الداخل ومن الخارج ، وإقامة التماثيل أو صيانتها فى تلك الهياكل ، وترميم ما يفسده الزمن والجو من مخلفات الماضى والرقص الدينى والتوقيعى على أنغام الموسيقى ، كل هذا يمارسه سكان بالى رجالاً ونساء ، ويفعلونه كفنانين أصليين ، امتزج حب الفن بروحهم منذ الصغر ، لأنه ينتقل إليهم بالدم من آبائهم وأجدادهم .

لجزيرة بالى نوع من الرقص اختصت به الجزيرة وامتازت فيه راقصاتها ، فاشتهر ليس فقط فى بالى موطنه ، ولا فى جزر الهند الشرقية فحسب ، بل فى جميع البلدان ولدى جميع الشعوب التى تعرف قدر الفن وتفهم ما تنطوى عليه أنواع الرقص الشرقى ، والدينى منه على الخصوص ، من معنى وبراعة.

وهياكل بالى متناثرة فى السهول والجبال ، بعضها رابض بين الحقول والحدائق ، وبعضها منتصب فوق قمم الجبال أو قابع فى بطن الوديان . وكلها تثير فى النفس مزيجاً من الرهبة والإعجاب .

وحول الهياكل فى الطرقات التى تخترق الغابات ، أو السهول المزينة بالأزهار والرياحين ، تمرح أسراب من القرود الطليقة ، تحوم حولك إذا مشيت على قدميك ، وإذا كنت فى داخل سيارة تقفز على النوافذ وتحاول الدخول عليك ، لكى تداعبها أو تقدم لها قطعة من الحلوى أو تقاسمها الفاكهة التى تكون فى يدك .

بالى جزيرة سعيدة . وأهلها قوم سعداء . وقرودها تأخذ نصيبها من هذه السعادة العامة الشاملة .

إيريان الغربية

من القضايا التى قرر مؤتمر باندونج تأييدها ، قضية « إيريان الغربية » التى أثارتها حكومة هندونيسيا ، ورفعتها إلى هيئة الأمم . واسم « إيريان » هو الذى تعرف به الآن جزيرة « غينيا » الجديدة ، إحدى جزر الهند الشرقية ، وأبعدها من ناحية الشرق .

وقضيتها تلخص فى الكلمات الآتية التى قالها الرئيس سوكارنو : « إن مشكلة إيريان هى فى الواقع مسألة استعمار أو استقلال . فإن جزءاً من بلادنا لا يزال الهولنديون يحتلونه . نحن لا نرضى بهذا الوضع ولا نقره . إننا نريد أن تكون بلادنا جميعها لنا ! . . »

تبلغ مساحة هذه الجزيرة نحو ٨٠٥ آلاف كيلومتر مربع . منها نحو ٤١٥ كيلو متر مربع لجزئها الغربى الذى يسكنه نحو مليون نسمة فقط .

كانت جزيرة غينيا الجديدة قبل الحرب العالمية الأولى مقسمة بين ثلاث دول : هولندا فى الغرب ، وألمانيا فى الوسط والشمال ، وإنجلترا فى الشرق . ثم انتزع من ألمانيا الجزء الخاص بها ووضع مع الجزء البريطانى تحت انتداب اوستراليا .

ولما أعلنت هندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٥ ، كان طبيعيا أن يدخل الجزء الغربى من جزيرة غينيا الجديدة — أو بعبارة أخرى إيريان الغربية — فى نطاق الدولة التى تألفت من جزر الهند الشرقية كلها واتخذت اسم « جمهورية الولايات المتحدة الهندونيسية » .

ولكن الهولنديين عمدوا إلى اللف والدوران . وبعد أن رحلوا عن معظم الجزر الهندونيسية ، رفضوا تسليم الجزء

الغربى من إيريان بحجة أن هذه الجزيرة ليست واحدة من جزر الهند الشرقية ، وادعوا أنهم أحرار فى البقاء فيها ، واقتسامها مع اوستراليا وإنجلترا .

وبعد أن كانوا يهملون هذه الجزيرة ولا يولونها شيئاً من اهتمامهم ، فى خلال حكمهم الطويل ، أصبحوا الآن يتظاهرون بأنهم شديدو العناية بها ، حريصون على عدم التنازل عنها لهندونيسيا خوفاً من وقف أعمال الإصلاح والاستثمار التى باشروها فيها !

إن غينيا الجديدة — أو إيريان — تضم فى أرضها خيرات كثيرة ، وثروات لا يعرف أحد مداها ، وكان الهولنديون يحتفظون بها للمستقبل ، لكى يعمدوا إلى استثمارها بعد أن تجف موارد الخيرات والثروات فى أماكن أخرى يسيطرون عليها . وقد هالهم اليوم أن تطالب بها هندونيسيا وأن يحرموا من هذا المورد فى الغد كما حرموا من موارد أخرى فى الجزر الخضراء بالأمس ، فقاموا يختلقون المعاذير ويحاولون إخراج إيريان عن نطاق الحدود الطبيعية للاتحاد الهندونيسى .

إن هذه القضية واحدة من القضايا العديدة ، الرئيسية والثانوية ، التى لا تزال معلقة بين هندونيسيا الحرة ، وهولندا التى كانت تحكمها .

قضايا تتعلق بالأراضى ، والممتلكات ، والمالية ، والنقد ، والتبادل التجارى ، والارتباطات السياسية والاقتصادية السابقة ، وغير ذلك مما بدأت تصفيته منذ إعلان الاستقلال سنة ١٩٤٥ ، ولم تتم التصفية بعد ، بسبب مراوغة هولندا وتحايلها على الحقائق والوقائع . . .

كما تفعل فى قضية إيريان الغربية التى رفعتها هندونيسيا إلى هيئة الأمم .

الجو والمناخ

تقع هندونيسيا ، بجزرها الكثيرة المتباعدة ، فى المنطقة الاستوائية . فهى من هذا القبيل شبيهة بالبرازيل فى أمريكا الجنوبية ، وببلاد الكونغو فى أواسط أفريقيا ، وبالجزء الشمالى من اوستراليا . ولكنها معرضة أكثر من هذه البلدان للرياح التى تهب من كل صوب ، لأنها جزر محاطة بالبحار . فهى إذن فى جزء من المنطقة الاستوائية المعتدلة . فدرجة الحرارة فيها ثابتة تقريباً على خط واحد طوال أيام السنة .

تبدأ الأمطار ، فى شهر فبراير ، وتنتهى فى شهر يوليو . وتهطل أحياناً أمطار غزيرة فى يناير وأوغسطس .

قلت كيف أن السماء تمطر ثم تصحو . وكيف أن الشمس تظهر ثم تختفى . والغيوم فى تحرك دائم فوق الرؤوس . ويخيل إلى الناظر إليها أنها أقرب إلى الأرض منها فى البلدان الواقعة على ساحل البحر المتوسط .

يشتد الحر بعد شهر مارس . ويبقى شديداً إلى شهر يوليو . ثم يجىء البرد . والغريب فى هذا الجو ، أن البرد والحر ، لا علاقة لهما بطول الأمطار ولا بظهور الشمس من وراء السحب!

ولا بد من استعمال « الناموسيات » فى جاكرتا وغيرها من المدن . فالبعوض كثير . ومع البعوض طوائف أخرى من الحشرات لا تتورع عن مهاجمة النائم فى النهار وفى الليل على السواء .

وعند ما يحبس المطر بضعة أسابيع ، أو حتى بضعة أيام ، فإن الزهر يذبل ، والنبات يجف ، لأنه ليس فى هندونيسيا نظام للرى الصناعى . ولكن المطر يسقط فى معظم أيام السنة ، حتى فى غير موسمه المعتاد . ولكن سقوطه فى غير الموسم يكون خفيفاً ، أى كافياً لسد حاجة الزراعة منه .

وفى بعض أنحاء هندونيسيا ، تمطر السماء طوال أيام السنة ، فلا يخلو يوم واحد من نصيبه من المطر .

وهذا الجو يؤثر على الأعصاب ، خصوصاً عند الغريب الذى لا يكون قد ألفه بعد — ومن الصعب على الغريب أن يألفه !

ثروة البلاد

ثروة هندونيسيا فى أرضها : فى جوف هذه الأرض بما يحويه من معادن . وعلى سطح هذه الأرض بما ينبت عليه من زرع !

أهم الحاصلات المطاط ، والشاى ، والبن ، والكاكاو ، والسكر ، والتبغ ، وزيت النخيل ، والأرز ، والتابيوكا ، والتوابل على أنواعها ، والكوبرا ، والخشب ، والخيزران ، والكابوك ، والكينا ، والذرة ، والصمغ ، والحبال ، والفواكه العديدة .

ويزرع القطن فى بعض الجهات .

والمعادن المتوفرة فى البلاد هى : القصدير ، والمنغنيز ، والفحم ، والفضة ، والذهب ، والنحاس ، والنيكل ، والفوسفات ، والحديد . . .

وينابيع البترول غنية جداً .

وفى هندونيسيا صناعات محلية عديدة .

لكن الهولنديين ، بعد انتهاء حكمهم ، تفننوا فى قتل الاقتصاد الهندونيسى ، لكى يظل الهندونيسيون فى حاجة إليهم

كانوا يحتكرون كل شيء ، فأرادوا أن يمنعوا الهندونيسيين من احتكار أي شيء ، فى وطنهم !

ضيقوا على الروبية الهندونيسية فسقطت قيمتها . وقاموا بمناورات فى المصارف الدولية ليجعلوا ثقة العالم تتزعزع فى معاملة الهندونيسيين . ولكن الحكومة الوطنية تجاهد فى هذا الميدان ، كما تجاهد فى غيره ، للنهوض بالاقتصاد القومى من كبوته .

فوسائل النجاح كثيرة . والإمكانيات لا حد لها . ولا بد أن يفوز الهندونيسيون فى صراعهم الاقتصادى ، كما فازوا فى صراعهم السياسى .

ثروة هندونيسيا لا يمكن تقديرها . وإذا اتسعت العلاقات التجارية بين الجزر الخضراء بعضها مع بعض ، وبينها وبين العالم الخارجى ، فإن تلك الثروة ، بعد استثمارها ، ستجعل من الجزر المحظوظة جنة اقتصادية ، كما هى جنة طبيعية .

والمجال واسع أمام الشعوب الشرقية كلها ، والشعوب العربية على الخصوص ، لإنشاء علاقات اقتصادية مع هندونيسيا ، تعود بالخير العميم والفوائد الجمة على الفريقين .

وعلى الإخصائيين والخبراء أن يلجوا هذا الميدان .

كشكول هندونيسى

فيما يلى حفنة من الخواطر والملاحظات ، تتمم الفائدة من هذه اللمحة السريعة عن الجزر الخضراء :

– لا يوجد تاريخ لهندونيسيا باللغة العربية . وهذه ثغرة يجب سدها . فقد بحثت فى هندونيسيا عن هذا التاريخ ولم أجده . وعلمت من صديقى ضياء شهاب ، الكاتب الأديب الهندونيسى العربى ، أنه يضع ، بل إنه وضع هذا السفر الضرورى ، ويسعى الآن لطبعه .

– فى أثناء انعقاد مؤتمر باندونج ، فرضت الحكومة الهندونيسية رقابة على الفنادق والمطاعم ، فيما يتعلق بألوان الطعام ووجباته ، وأسعاره . وحددت تلك الأسعار بحيث إنها لم تترك مجالاً للربح . . . ولكنها سددت الخسارة لأصحاب الفنادق والمطاعم من خزينة الدولة . وهذا من أحسن أنواع الدعاية !

– أجور البيوت فى جاكرتا رخيصة . وعرفت صديقاً يسكن فى « فيلا » بالضواحى ، حولها حديقة غناء ، بإيجار قدره ٥٤ روبية فى الشهر . أي ما يوازى ماية وخمسين قرشاً مصريا ، بسعر الروبية والجنيه الرسمى . أما بسعر السوق السوداء ، فلا يزيد

الإيجار عن نصف جنيه مصرى .

– أسعار البيوت رخيصة أيضاً . فكثيرون من الأوربيين يبيعون منازلهم وأملاكهم العقارية . ويؤثرون حياة الفنادق .

– الكهرباء منتشرة فى المدن وفى كثير من القرى ، حتى الصغيرة منها . وسعر التيار الكهربائى رخيص مثل الإيجار .

– ذهب الهولنديون كحكام . ولكنهم بقوا كتجار .

– البائعون المتجولون يمتازون بنظافتهم بالرغم من ثيابهم المهلهلة أحياناً . وهم يحملون سلعهم فى سلال مصنوعة من الخوص .

– لم يقع نظرى إلا على عدد لا يذكر من المتسولين فى شوارع باندونج وجاكرتا .

– محطة الإذاعة فى جاكرتا تذيع كل يوم مرة باللغة الإنجليزية ، والصينية ، والفرنسية ، والهندية ، والهولندية ، ومرتين باللغة العربية . وطول النهار بالهندونيسية .

– القطط فى هندونيسيا تمتاز عن قطط العالم بظاهرة عجيبة فإن ذيلها أعوج ، أو معكوف ، كأن يداً أخذته بين أصابعها وعقدت طرفه !

– والكلاب لا ترسل نباحها إلا بأصوات متقطعة ، فتصيح صيحة واحدة ، ثم تسكت ، لتصيح صيحة أخرى .

– سألت عن الأجور ، فقيل لى إن الخادم يتقاضى فى اليوم ٤ روبيات . والعامل البناء من ١٥ إلى ٢٠ روبية . والنجار مثله . والسواق يتقاضى من ٤٥٠ إلى ٦٠٠ روبية فى الشهر . وأجرة التكسى رخيصة جداً . ويمكن المقارنة بين هذه الأجور ومثلها فى البلدان الأخرى ، إذا حسبنا أن الجنيه المصرى كان يصرف فى البنك بثلاثين روبية ، وفى السوق الحرة بما لا يقل عن سبعين !

– للأمريكيين مركز يسمونه « ثقافياً » يشغل عمارة كبيرة ولهم مكتبة تضم عدداً ضخماً من الكتب ، معظمها للدعاية . وهم يوزعون مطبوعاتهم بلا حساب . ومعظم هذه المطبوعات ينتهى أكواماً أكواماً عند أصحاب الدكاكين والبائعين !

– أنشأت الحكومة متنزهات للأطفال فى أواسط القرى ...

– تبنى البيوت فى الأقاليم من الخشب فى معظم الأحيان ، لتعذر وجود الحجارة . ويستعمل الهندونيسيون القرميد الأحمر والقاتم ، مثل السوريين واللبنانيين والفلسطينيين .

– سألت إذا كان يوجد فى هندونيسيا ترجمة للقرآن باللغة الهندونيسية ، فقيل لى « لا » .

– أهم مدن هندونيسيا : فى جزيرة جاوى : جاكرتا ، باندونج ، سماراناج ، جوكجاكرتا ، سورابا – وفى جزيرة

سومطرة : بادانج ، سابانج ، كوتاراجا ، ميدان — . وفى جزيرة كاليمانتان : بابان ، بالباك ، بانجارماسين — وفى جزيرة سولاويسى : ماكاسار — وفى إيريان الغربية التى ستعاد إلى هندونيسيا آجلاً أو عاجلاً : مانوكوارى ، سورونج ، فاكفاك.

— فى بعض أنحاء هندونيسيا ، وسط الغابات الكثيفة يعيش القرد الضخم المعروف باسم « أوران أوتان » وهذا الاسم هندونيسى ، مؤلف من كلمتين : أوران ومعناها « إنسان » وأوتان ومعناها « غاب » أى إنسان الغاب .

— عيد هندونيسيا الوطنى فى ١٧ أغسطس. وهو اليوم الذى أعلن فيه الاستقلال فى سنة ١٩٤٥ .

— الدستور الهندونيسى يساوى بين جميع الهندونيسيين فى الحقوق السياسية والمدنية .

— العلم الهندونيسى مؤلف من اللونين الأحمر والأبيض .

— كلمة التحية فى هندونيسيا « مرديكا » ومعناها الحرية . وهذا دليل على أن الهندونيسيين يقدسون الحرية التى اشتروها بالدموع والدماء !

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

